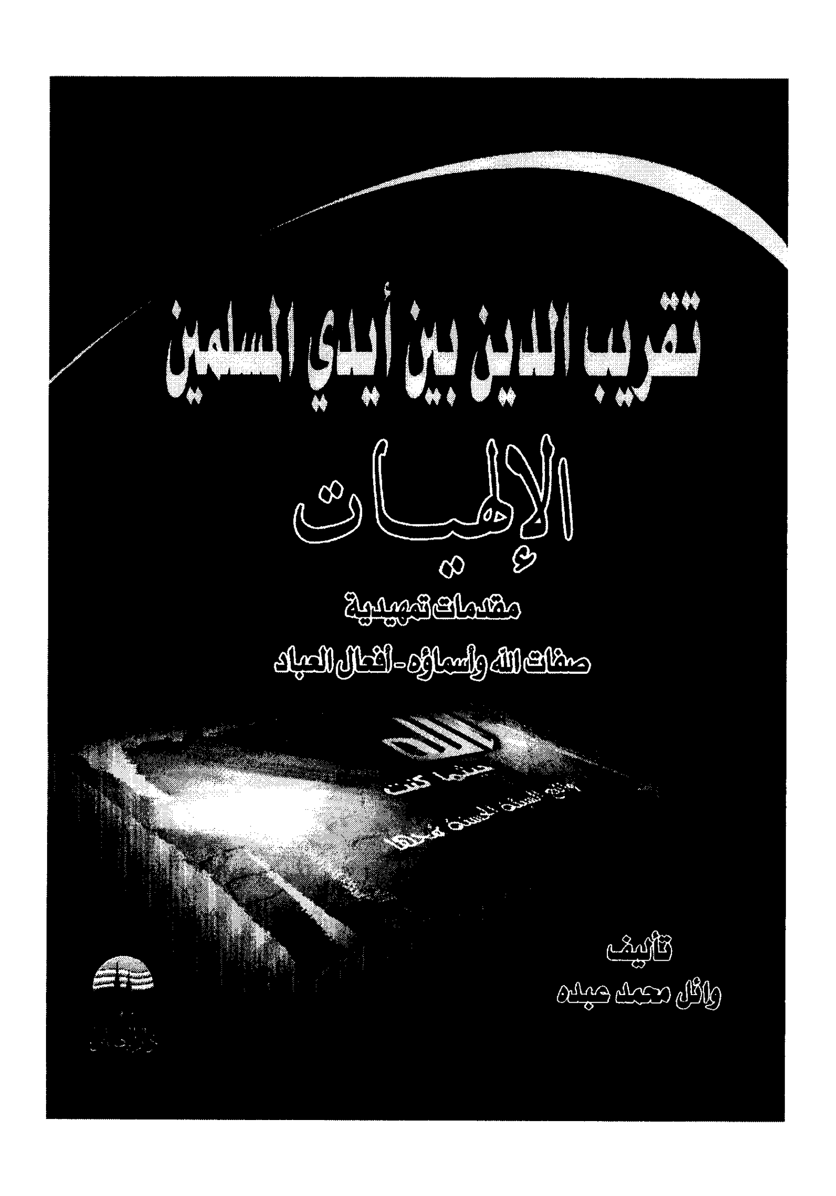


تقريب الدين بين أيدي المسلمين
الإلهيات
مقدمات تمهيدية
صفات الله وأسماؤه - أفعال العباد
الله
تأليف
وائل محمد عبده

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

عزيزي القارئ:

لقد أودع الله تعالى في فطرة الإنسان ما يستشعر به وجوده سبحانه وتعالى يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

فقد أخبر سبحانه أنه أخذ من ظهر آدم عليه السلام ذريته وأشهدهم على أنفسهم بأنه تعالى ربهم وإلههم وأنه لا إله غيره فشهدوا بذلك وأقروا واعترفوا وذلك حتى لا يبرروا شركهم وكفرهم.

وقد أعطاهم الله تعالى عقولًا وأبصارًا وأفئدة يبصرون بها ويتأملون بديع صنع الكون بما فيه من شمس وقمر وسماء ونجوم وبحار وحيوان ونبات بها يدركون وجوده سبحانه وطلاقة قدرته عز وجل.

(١) سورة الأعراف آية: ١٧٢-١٧٣.

ومن فضله عليهم أنه- بعد كل ذلك- أرسل إليهم رسلًا وأنزل عليهم كتبًا تهدي الإنسان إلى طريق خالقه وإلى ما فيه صلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة.

فنرى بعد هذه الإنعامات وهذا الفضل من الله مَنْ يطمس بصيرته ويُخرس صوت ضميره ويجحد ربه وخالقه الذي أنعم عليه وجعل له عينين ولسانًا وشفتين وهداه النجدين.

فنراه لا يؤمن إلا بما يقع تحت البصر والحس ولا يعترف إلا بالمادة، نراه يتبجح ويقول: إن كل شيء يحدث في الكون ما هو إلا نتيجة الصدفة.

وهو عندما يقول هذا لا يستند إلى دليل وإنما يتبع هواه وشيطانه المريد.

أخي القارئ:

إنه لشيء عظيم أن ينكر الإنسان التافه المغرور ربه وخالقه.

ولذلك كان لزامًا علينا أن نرد عليه ونقرعه بالحجج حتى يندحر وينهزم.

وإننا نجد في ديننا الإسلامي ما يشفي العليل ويروي الغليل؛ فإن ديننا الإسلامي لم يترك خيرًا أي خير إلا دلنا عليه ولم يترك شرًّا أي شر إلا بيَّنه لنا وحذرنا منه.

نجد في ديننا الإسلامي ما يقنع العقل بوجود الله، وليس ذلك فقط بل نجد كل ما يتعلق بالله تعالى قد فصَّله لنا هذا الدين العظيم.

وما نجده في الدين الإسلامي لا نـرى لـه مثـيلًا في ديـن النـصارى أو ديـن اليهود فإن النصارى قد جعلوا الله ثلاثة آلهـة: الأب والابـن والـروح القـدس، وقالت اليهود: عُزير ابن الله.

ولا يوجد في دين أن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته إلا في الإسلام.

إن الـدين الإسـلامي هــو ديــن النقــاء والـصفاء في العقائـد والعبـادات والمعاملات يمزج بين العقل والمادة والـروح، وكـل تـشريعاته وأحكامـه تتـسم بالحكمـة والعقلانيـة؛ ففـي الاسـتدلال عـلى وجـوده تعـالى خاطـب العقـول والوجـدان فقـال تعـالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾(١) فالفرضان باطلان فلم نخلق من غير شيء ولم نخلق أنفسنا فإذن لابد لنا من خالق.

وفي الاسـتدلال عـلى وحدانيتـه تعـالى يقـول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٢) ذلك أنه لو فرض وجود آلهة مع الله لفسدت الـسموات والأرض وذلك لأنه سيؤدي تعدد الآلهة إلى الاختلاف فيما بيـنهم لأن لكـل مـنهم رغبـة وإرادة تخالف الآخر، وقال أيضًا في نفس هـذا المعنـى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾(٣)

(١) سورة الطور آية: ٣٥.
(٢) سورة الأنبياء آية: ٢٢.
(٣) سورة المؤمنون آية: ٩١.

وقال تعالى مخاطبًا ذوي العقول: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١) وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾(٢) ويقول: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٣).

أرأيت وضوحًا وإقناعًا أكثر من ذلك؟ اللهم لا.

وليس ذلك فقط.

بل إننا نجد كل ما يتعلق بصفات الله تعالى واضحًا في الإسلام ممزوجًا فيه الدليل العقلي بالنقلي.

ولا نجد دينًا من الأديان يعظم ويوقِّر الله عز وجل كدين الإسلام؛ فإننا نجد الله تعالى فيه كما وصف الله تعالى نفسه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾(٤) ونجده سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾(٥).

ونجد في الإسلام وصف الله تعالى بالجلال والجمال والكمال فقد أثبت الإسلام لله كل كمال وسلب عنه كل نقص، وهذا هو ما يعتقده كل مسلم.

ولا تجد أتباع دين من الأديان يوقر الله عز وجل ويجله ويعظمه كالمسلمين فإنهم قبل أداء الصلاة يتطهرون ويُخلِّصون قلوبهم وعقولهم من شواغل الدنيا

---

(١) سورة يونس آية: ١٠١.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٩٠.

(٣) سورة إبراهيم آية: ١٠.

(٤) سورة الإخلاص آية: ١-٤.

(٥) سورة الشورى آية: ١١.

ويقفون باحترام ووقار وخشوع بين يدي الله تعالى يتضرعون إليه، وفي أداء الزكاة يحرصون على إخراج أطيب الأموال وأحسنها قال تعالى: ﴿**وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ**﴾[1] لأن الله تعالى كما أخبر رسوله: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»[2].

ولذلك يُروى عن السيدة عائشة أنها كانت تضع الدينار في المسك قبل أن تتصدق به وعندما سُئلت عن ذلك قالت: إن الصدقة قبل أن تقع في يد الفقير تقع في يد الله تعالى، وكذلك في أداء الصيام يؤدي المسلم هذه العبادة استجابة لأمر الله الذي فرض الصيام عليه، ويراقب الصائم أعماله وأفعاله لأنه يستشعر اطلاع الله عليه فيستحي أن يراه على معصية، وكذلك في الحج نجد هذا النشيد الرائع: «**لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**» ويقطع الحاج مسافات طويلة ابتغاء رضوان الله عنه.

بل إن المسلمين إذا أرادوا أن يتحدثوا عن الله سبحانه فإنهم عندما يذكرون اسم الله يقولون: الله تعالى، الله سبحانه، الله عز وجل، الله جل في علاه، الله جل وعلا، الله عز شأنه، وأمثال هذه العبارات. وإذا ذكر أحد منهم اسم الله مجردًا هكذا لعدوا ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٦٧.

(٢) رواه مسلم.

أرأيت دينًا يقدر لله قدره كدين الإسلام؟! من هنا ارتضى الله عز وجل هـذا الدين لخير أمة أخرجت للناس قـال تعـالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١).

ومن هنا من هذا النبع الصافي القرآن كتـاب الله الخالـد ودسـتوره العظـيم، وسنة الرسول ﷺ ننهل ونستقي العقيدة الصافية الـمُنجية.

ستعلم أخي القارئ في هذا الكتـاب: معنـى التكليـف ومـن هـو المكلـف؟ وحكم أهل الفترة؟ وما الواجب على المكلف؟ وستعلم صـفات الله عـز وجـل وأسماءه وما يجب لله تعالى من الكمال والجلال، وسـتعلم الأدلـة عـلى وجـوده سبحانه والأدلة على وحدانيته عز وجل.

وستعلم ما يجوز على الله، وما يستحيل عليه عز وجل من صفات النقص.

وستعرف الأدلة على قدرته وإرادته.

وستعرف موقف السلف من الصفات المتشابهات التي ضل في فهمهـا كثـير من الخلق فوقعوا في التشبيه والتجسيم والتعطيل.

وستعرف معنى القضاء والقدر وضرورة الإيمان به وثمار الإيمان به.

كل ذلك بأسلوب ميسر خالٍ من إيراد الاختلافات التي لا طائل من ورائها.

وأخيرًا نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.



(١) سورة المائدة آية: ٣.

مدخل إلى الإلهيات

الفصل الأول

الإسلام عقيدة وشريعة

معنى الإسلام والعقيدة والشريعة

يحسن بنا قبل بيان المعنى المراد من هذا العنوان أن نبين أولًا مفرداته فنبين معنى الإسلام ومعنى العقيدة ومعنى الشريعة.

أ- الإسلام

يدل هذا اللفظ من حيث اللغة على معنى الانقياد والطاعة، وأما في الاصطلاح الشرعي فيطلق على الدين الذي ارتضاه الله ليمثل آخر حلقات اتصال السماء بالأرض، والذي دستوره القرآن الكريم ومبلغه رسول الله ﷺ وهو الذي عبر عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

ب- العقيدة

هذا اللفظ مشتق من العقد بمعنى الربط والإحكام، وهذا هو المعنى اللغوي له، وهذا لا يُتَصور إلا في الأمور المادية، وتحديد المعنى الشرعي للعقيدة إنما يتعين بتحديد موضوعها، ولما كانت موضوعات العقيدة في الإسلام باختصار هي:

---

(١) المائدة: ٣.

١ـ **الإلهيات**: وهي الأمور المتعلقة بذات الله وصفاته.

٢ـ **النبوات**: وهي الأمور المتعلقة بالرسل ورسالاتهم.

٣ـ **السمعيات**: وهي الأمور المتعلقة بالمغيبات من أمور الآخرة وغيرها.

فإن العلاقة الوثيقة بين الشخص وبين هذه الموضوعات تأخذ صبغة الاصطلاح الشرعي للعقيدة.

جـ- الشريعة..

ونعني بهذا اللفظ من حيث اللغة النهج أو الطريق الذي يسار عليه نحو هدف معين، وأما في الاصطلاح الشرعي فيعني: مجموعة الأحكام من الأوامر والنواهي والمسنونات والمستحبات والمباحات والمكروهات التي جاء بها الدين لكي تنظم حياة الناس بما ينفعهم في حياتهم وآخرتهم.

بعد هذا نقول: إن الإسلام قد اشتمل على ناحيتين: ناحية الاعتقاد، وهي متصلة بالقلب والعقل معًا، وناحية التشريع، وهي متصلة بالعمل والسلوك.

وينبغي أن نبين أن الناحيتين مترابطتان أشد الترابط، ومجموع هاتين الناحيتين هو الدين الصحيح.

وحدة الأديان السماوية من حيث العقيدة:

لو رجعنا إلى القرآن الكريم باعتباره آخر الكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله وأنبيائه لوجدناه يقرر وحدة الأديان السماوية في أصل الاعتقاد وهي:

١ـ توحيد الله سبحانه وتفرده بالخلق (لا شريك له).

٢ـ توحيد الله سبحانه في العبادة (لا معبود بحق سواه).

٣ـ نفي مماثلة المخلوقات له في الذات والصفات والأفعال.

وسنذكر بعض الآيات التي توضح هذا المعنى:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾(١)، ويقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾(٢)، ويقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾(٣)، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠ ﴾(٤).

وهذا المعنى قد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾(٥).

---

(١) الأعراف: ٧٣.

(٢) الأعراف: ٨٥.

(٣) هود: ٢٥-٢٦.

(٤) هود: ٥٠.

(٥) الشورى: ١٣.

وأما من ناحية الشريعة فإنها لما كانت متصلة بتنظيم سلوك الناس في حياتهم ولما كان ذلك يخضع لاختلاف الزمان والمكان فقد جعل الله سبحانه الشرائع مختلفة من حيث الفروع لا من حيث الأصول العامة، وذلك رحمة منه بعباده وعلى مقتضى حكمته وعلمه بخلقه.

* * *

العقيدة الإسلامية

١. موضوع العقيدة الإسلامية:

أشرنا بإيجاز إلى الأقسام الرئيسية الثلاثة في موضوع العقيدة الإسلامية وهي: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات.

ونحب أن نذكر هنا موضوع العقيدة الإسلامية بشيء من التفصيل قبل أن نبدأ في دراسته.

فمباحث الإلهيات تتناول بالدراسة كل ما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى من إثبات وجوده بالأدلة العقلية والنقلية، وبيان ما يجب له من صفات الكمال إجمالًا وتفصيلًا وما يستحيل في حقه من الصفات وما يجوز من الأفعال.

ومباحث النبوات تتناول بالدراسة حاجة البشر إلى الرسالة الإلهية واصطفاء الله لرسله إلى خلقه وما يجب لهؤلاء الرسل وما يجوز أو يستحيل في حقهم من الصفات، وتتناول كذلك بالدراسة وحي الله لهم ببيان إمكانه ووقوعه، وما أيدهم الله به من المعجزات دليلًا على صدقهم فيما يبلغونه عنه سبحانه وتعالى.

أما مباحث السمعيات فتتناول بالدراسة المسائل الغيبية التي لا يمكن معرفتها عن طريق الدليل العقلي وإنما طريق إثباتها هو الدليل النقلي المسموع من الرسول ﷺ سواء كان قرآنًا أو سنة، ومن هذه الأمور ما يكون بعد الموت من نعيم القبر وعذابه وما يكون في الآخرة من البعث والحشر والحساب والصراط والميزان والجنة والنار والثواب والعقاب فيهما .. إلخ.

وكذلك ما يثبته الدين من المخلوقات الغيبية: كالملائكة، والجن.

هذا هو موضوع العقيدة الإسلامية وتلك هي مباحثه، وقد عرض القرآن هذه العقيدة عرضًا كاملًا ثم أفردت بدراسة هذه المباحث في علم خاص عرف فيما بعد بعلم التوحيد أو علم الكلام.

* * *

٢- منهج القرآن في بناء العقيدة والاستدلال عليها

يتجه القرآن أولًا إلى إثبات أن للكون إلهًا خالقًا وأن القول بأن الكون قد خلق مصادفة أو أن الطبيعة هي السبب الأول في الخلق لا يقوم عليه دليل، وفي هذا رد على الملحدين الذين ينكرون وجود الله وينكرون الآخرة ويقولون: «**ما يهلكنا إلا الدهر**» أي الأيام والليالي.

ثم يتجه القرآن بعد ذلك إلى قضية التوحيد وفي هذا رد على بقية الطوائف الأخرى من مجوس ومشركين ويهودية ونصرانية؛ حتى إذا ما وصل إلى هذا الحد قرر منع المماثلة الحقيقية بين الخالق وجميع مخلوقاته وفي هذا رد على اليهود والنصارى في الجوانب التي تشوب توحيدهم مثل قول الأولين بالتشبيه وأن عزيرًا ابن الله ومثل قول الآخرين بالتثليث أو اتحاد اللاهوت بالناسوت على أي وجه كان الاتحاد كما أن فيه أيضًا ردًّا على أولئك الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله.

فأما الأمر الأول: فقد بينه القرآن بأساليب مختلفة فمرة يلفت الأنظار إلى ما في الكون من ظواهر طبيعية وأن الظواهر لا يمكن أن يكون لها التأثير المستقل

بالإيجاد حتى ليخيل للناظر أن هذه الظواهر المشاهَدَة بالعين هي بمنزلة شاهد حقيقي على أن لهذا الكون صانعًا، وقد جاء هذا على سبيل الدعوة إلى التأمل مرة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[1] وعلى سبيل الأمر مرة أخرى كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝﴾[2]، وقد تجيء على نمط القسمة العقلية كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[3].

ثم يترقى القرآن بعد ذلك في عرض الدليل فيجعل من المستقر في فطرة النفس دليلًا على أن للكون خالقًا فيقول: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4].

ومما هو جدير بالتنبيه أن الهدف الأساسي للقرآن في هذا المقام كان في إيقاظ شعور الإنسان ليدرك ما بينه وبين الخالق وبين الكون من علاقات متعددة، وبهذا تظهر قيمة المنهج القرآني في الاستدلال على العقيدة بحيث لم يسلك طريق القضايا المجردة الجامدة بل اشتق من الواقع الطبيعي والنفسي والعقلي أساسًا لهذا المنهج.

* * *

(١) الغاشية: ١٧-٢٠.

(٢) يونس: ١٠١.

(٣) الطور: ٣٥-٣٦.

(٤) الواقعة: من الآية ٥٨-٧٢.

٣. العقائد وأثرها في الفرد والجماعة

لا شك أن سلوك الإنسان وتصرفه نحو غيره من بني الإنسان إنما يكون تابعًا لما يعتقد في هذا الغير؛ فلو أنك تتعامل مع شخصين أحدهما يتصف بالأمانة وآخر قد تعود الخيانة فطبيعي إذا كانت عقيدتك نحوهما هكذا أن تختلف معاملتك لكل منهما فالأول تترك عنده الودائع أو تفضي إليه بسرك وأما الثاني فأنت معه على حذر فلا تثق فيه ولا تعامله.

وهكذا فإن عقائد كل أمة هي التي تتحكم في تقاليدها وعادتها كما تحدد طريق السلوك لأفرادها.

ومما لا شك فيه أن الفرد الذي يؤمن بوجود الله وعلمه لكل صغيرة وكبيرة يأتيها الإنسان ثم يتيقن بعد هذا أنه محاسب على أعماله وأنه سيجازى بالخير خيرًا وبالشر شرًّا.

لا شك أن هذا الفرد يكون فردًا صالحًا لبناء مجتمع تسوده المحبة والإخلاص والتفاني في خدمة الجماعة التي يعيش بينها؛ فالقوانين الوضعية كثيرًا ما يتحايل الإنسان على بنودها كما أنه ليس في إمكان المجتمع أن يراقب تصرفات كل أفراده حتى يعاقب المسيء ويثيب المحسن.

ولذلك فإننا نرى المسلمين الأُوَل حينما غمرت قلوبهم عقائد الإسلام البسيطة الواضحة نراهم وقد كونوا دولة امتدت حتى شملت معظم أجزاء العالم، وكانت دولة قوية متماسكة يضحي كل فرد في سبيل رخائها وقوتها ويبذل

قصارى جهده في سبيل رفعة شأنها ويقدم روحه راضيًا مطمئنًا في الدفاع عنها لأنه على يقين من أنه سيموت شهيدًا ويثيبه الله بنعيم الجنة.

أما المجتمع الذي يتحلل فيه الأفراد من عقيدتهم فإنه يكون مجتمعًا تسوده الأنانية ويحاول كل فرد فيه أن يحظى بأكبر نصيب ولا يهمه غيره من أبناء جنسه.



الفصل الثاني

حول علم التوحيد

تعريف علم التوحيد وموضوعه

يشمل ديننا الإسلامي موضوعات كثيرة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام: العقيدة، والشريعة، والأخلاق.

فالعقيدة: تشمل الأمور التي يجب أن يؤمن بها المسلم بقلبه؛ فهي الجانب النظري من الإسلام ويدرسها (علم التوحيد).

والشريعة: هي الأعمال التي طلبها الدين من المسلم من عبادات ومعاملات؛ فهي الجانب العملي من الإسلام ويدرسها (علم الفقه).

والأخلاق: هي الفضائل والخصال التي على المسلم أن يتحلى بها؛ فهي الجانب النفسي ويدرسها (علم الأخلاق).

والعقيدة أصول ثابتة لم تتغير خلال الرسالات السماوية عبر تاريخ البشرية؛ فقد كان كل رسول يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[١] ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٢]

---

(١) المؤمنون: ٢٣.

(٢) النحل: ٣٦.

ويقـــــول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(١).

أما **الشريعة**: فهي تختلف في بعض المسائل الفرعية من دين إلى دين لتتناسب مع ظروف كل مجتمع؛ قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(٢).

والأخلاق الحسنة وأمهات الفضائل ثمرة للجانبين السابقين، وقد كملت بالرسالة الخاتمة؛ قال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٣).

وقد عرف العلماء علم التوحيد بعدة تعريفات؛ نذكر منها:

١ - علم يبحث فيه عن ذات الله ورسله من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز، وعن الأمور السمعية التي أخبر بها ﷺ.

فهو يدرس ما يجب لله تعالى من صفات عليا وأسماء حسنى وما يستحيل عليه من النقائص وما يجوز عليه من الأفعال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة.

وما يجب للرسل من صفات الكمال البشرى وما يستحيل عليهم مما يتعارض مع مهمتهم التي كلفوا بها، وما يجوز عليهم من المعجزات وأكل الطعام والمشي في الأسواق.

ويدرس ما أخبر به ﷺ من السمعيات التي لا يصل العقل البشري إلى معرفتها وحده كعذاب القبر ونعيمه وأحوال القيامة وسائر الغيبيات.

---

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٥) رواه أحمد،ورجاله رجال الصحيح .

٢- علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشُّبه.

٣- علم يتضمن الدفاع عن العقائد بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة.

ومن هذه التعريفات وغيرها يتضح أن لعلم التوحيد جانبين:

أ-**جانب تقريري**: فيه تُعرض العقائد الدينية مدللًا عليها بالأدلة اليقينية من العقل والنقل (القرآن والسنة).

ب- **جانب دفاعي**: وفيه يُردُّ بالأدلة على المخالفين لأهل السنة في الاعتقاد وعلى الطاعنين والمشككين في عقائد الإسلام.

وقد اعتاد كثير من المؤلفين في علم التوحيد على تقسيم موضوعاته وهي أركان الإيمان الستة (الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَر) إلى ثلاثة أقسام:

١ - **الإلهيات**: وتشمل وجود الله تعالى وصفاته وأسماءه.

٢- **النبوات**: وتشمل صفات الرسل ومعجزاتهم وكرامات الأولياء وما إلى ذلك.

٣- **السمعيات**: وتشمل الأمور التي لا يستطيع العقل وحده أن يدركها إنما نعرفها بالسمع من الرسول ﷺ كالملائكة والجن والحساب والجنة والنار.

أسماء علم التوحيد:

١ - يسمى علم التوحيد: لأن أشرف موضوعاته: توحيد الله تعالى.

٢- ويسمى **علم أصول الدين**: فمباحثه أصل لغيرها من الأحكام الشرعية الفرعية.

٣- ويسمى **علم الفقه الأكبر**: في مقابلة علم الفقه الأصغر الذي يدرس العبادات والمعاملات.

٤- ويسمى **علم العقيدة**: لأنه يدرس العقائد التي يجب الإيمان بها واعتقاد صحتها.

٥- ويسمى **علم الكلام**: لأن صفة كلام الله تعالى قد طال في تحقيقها الكلام واشتد النزاع.

أو سمي بهذا لأن دارسه يكتسب قدرة على الكلام في تقرير العقائد الإيمانية والرد على الشبه التي تثار حولها.

فائدة دراسته:

١- يعرف الجاهل بالإسلام المتطلع إلى المعرفة بعقائد الإسلام وما تشتمل عليه من موضوعات.

٢- يتحول المسلم بالتقليد للآباء والأجداد إلى مسلم عن اقتناع بأدلة واضحة وبراهين قوية.

٣- يمكّن دارسه من الدفاع عن العقائد الإسلامية ضد المذاهب الإلحادية والدعاوى التشكيكية.

٤- الفوز بسعادة الدنيا والآخرة نتيجة معرفة العقائد الصحيحة التي تدفعه إلى امتثال شرع الله وإلى الخوف منه فيفوز برضاه وينال جنته.

٥- على هذا العلم تُبنى جميع العلوم الشرعية فهو أساسها فلا قيمة لدراسة علوم الفقه والتفسير والحديث وغيرها بدون دراسة علم التوحيد.

مصطلحات خاصة بعلم التوحيد:

معاني بعض المصطلحات:

التصور والتصديق:

التصور: تعقل الشيء من غير حكم عليه؛

فإذا قلت: الصندوق أو المنزل فإن الذهن يستحضر صورة كل منهما من غير حكم فهذا هو التصور.

وهو إما ضروري أو نظري.

والتصور الضروري: هو الذي لا يتوقف حصوله في ذهن الإنسان على نظر وفكر؛ مثل: تصور اللذة والألم.

والتصور النظري: هو الذي يتوقف حصوله في ذهن الإنسان على نظر وفكر. مثل: تصور الجنة.

والتصديق: هو تعقل الشيء مع الحكم عليه.

وهو إما ضروري أو نظري.

فالتصديق الضروري: هو الذي لا يتوقف حصوله في ذهن الإنسان على نظر وفكر. مثل: النصف أكبر من الربع والمتضادان لا يجتمعان.

والتصديق النظري: هو الذي يتوقف حصوله في ذهن الإنسان على نظر وفكر؛ مثل: الله واحد، محمد خاتم الأنبياء ﷺ.

ومعنى **النظر**: ترتيب المعلومات بحيث توصلنا إلى النتائج المطلوبة، وهذه المعلومات إذا وصلتنا إلى تصور حقيقة شيء مجهول لنا تسمى: التعريف، وإذا وصلتنا إلى التصديق بشيء تسمى: الحجة أو الدليل.

وقد أوجب الله علينا النظر والتفكر لنصل إلى معرفته سبحانه.

فقال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١) ، وقال: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾(٢).

الدليل:

هو ما يلزم من العلم به العلم بوجود المدلول.

وهو إما عقلي أو نقلي.

والدليل العقلي: هو الذي تكون مقدماته عقلية مأخوذة من التفكير العقلي المجرد.

---

(١) يونس: ١٠١.

(٢) عبس: ٢٤.

والدليل النقلي: هو الـذي تكـون مقدماتـه أو بعـضها مـأخوذة مـن القـرآن الكريم أو السنة المطهرة أو إجماع العلماء.

الحكم: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

فإذا قلنا: «محمد موجود» فهنا حكم فيه إثبـات الوجـود لمحمـد، وإذا قلنـا: «الكتاب ليس بمفيد» فهنا حكم وهو نفي الإفادة عن الكتاب.

وهو أنواع: شرعي وعادي وعقلي.

١- **فالحكم الشرعي**: هو الـذي يعتمـد عـلى الأدلـة القرآنيـة أو الأحاديـث النبوية؛ مثل: (الصلاة واجبة) اعتمادًا على قول الله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾[1] ومثل: (الظلم حرام) استنادًا إلى قول رسول الله ﷺ: «**اتقـوا الظلـم فـإن الظلـم ظلمات يوم القيامة**»[2].

٢- **والحكم العادي**: هو الذي يستند إلى العقل فقط؛ أي من غير احتيـاج إلى ملاحظة أو تجربة، ومن غير اعتماد على وحي سماوي.

مثل: الثلاثة أكثر من الواحد.

٣- وبالنسبة **للحكم العقلي**: فإذا أردنا أن نحكم على شيء حكمًا عقليًّا فإننـا نحكم عليه بواحد من ثلاثـة أحكـام؛ لأننـا إمـا أن نحكـم عليـه بـالوجوب أو بالاستحالة (أي الامتناع) أو بالجواز (أي الإمكان).

(١) البقرة: ٤٣.

(٢) أخرجه مسلم.

أ- **فالأمر الواجب**: هو الأمر الموجود الثابت الذي لا يقبل العدم لذاته؛ مثل كل حيٍّ ينمو، ومثل: الله بصير.

ب - **والأمر المستحيل**: هو الأمر المعدوم الذي لا يمكن أن يوجد أبدًا فهو لا يقبل الوجود أصلًا لذاته؛ مثل: تقدم الابن على أبيه في الوجود ووجود إلهين لهذا العالم.

جـ- **والأمر الجائز**: هو الأمر الذي يمكن أن يقبل الوجود أو العدم مثل: نزول المطر وكون الجنين ذكرًا أو أنثى.

ولما كان الأمر الممكن يقبل الوجود والعدم فإن وجوده ليس من ذاته وإنما من غيره. كما أنه عندما يوجد الأمر الممكن يكون وجوده حادثًا وليس قديمًا؛ فهو محتاج لكي يوجد إلى من يوجده كما يحتاج في بقائه أيضًا إلى الفاعل الحقيقي الذي يمنحه استمرار الوجود ولكي يُعدم يحتاج إلى من يعدمه.

مفهوم التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ

التوحيد في **اللغة** معناه: العلم بأن الشيء واحد.

وفي **الشرع**: هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وجميع الأنبياء والرسل أول ما قاموا به في دعوتهم لأقوامهم هو توحيد الله الخالص إذ هو أول خطوات الطريق إلى الله؛ فبتوحيد الله تتم التفرقة بين المؤمن والكافر فيدخل الأول الجنة ويدخل الثاني النار؛ لهذا نجد القرآن الكريم يؤكد

على هذا الأساس الأول فيقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢).

ولقد ذكر القرآن دعوات الأنبياء والرسل - وذكرهم بأسمائهم - إلى هذا التوحيد الخالص، وعلى سبيل المثال:

نجد سيدنا هودًا عليه السلام يكرر لقومه نفس الدعوة: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(٣).

ونفس الدعوة يقولها شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(٤).

ونجد كذلك سيدنا نوحًا يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(٥).

كل هذا وغيره يدلنا على أن دعوة الرسل جميعًا كانت تبدأ بالتوحيد الخالص لله.

* * *

---

(١) النحل آية: ٣٦.

(٢) الأنبياء آية: ٢٥.

(٣) هود آية: ٦١.

(٤) هود آية: ٨٤.

(٥) المؤمنون آية: ٢٣.

الفصل الثالث

معنى التكليف والمكلف

التكليف أفضل تعريفاته هو: طلب ما فيه كلفة (أي مشقة)، والتعبير بـ(طلب) بدلًا من إلزام يجعل التعريف شاملًا إذ الطلب يشمل الوجوب والتحريم والندب (أي استحباب الفعل) والكراهة.

والمكلف هو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة.

شروط التكليف

١ - البلوغ:

ويوجد خلاف بين العلماء في معايير البلوغ فالأشاعرة يقيدونه بالبلوغ الجسدي أو حدِّه من الأعوام، والمعتزلة بالبلوغ العقلي، وعلى أية حال: من بلغ الحُلُم ولم يظهر خلل في قواه العقلية والفعلية والقولية صار مكلفًا، والذي نريد أن نقرره هو أن الصبي خارج عن دائرة التكليف بمعنى أنه لو فارق الحياة قبل البلوغ فهو ناجٍ- إن شاء الله- حتى ولو كان من أبناء الكفار.

٢ـ العقل:

يعد العقل أيضًا شرطًا من شروط التكليف؛ ومن هنا نراه موضع اهتمام الشرع فعليه مدار الثواب والعقاب أو المسئولية والجزاء لأنه أداة الفهم والإدراك وبه يكون الامتثال والاستجابة.

وعلى هذا:

فمن وُلد مجنونًا أو طرأ عليه الجنون قبل البلوغ ودام جنونه فهو غير مكلف.

ومن طرأ عليه الجنون بعد البلوغ فحكمه حكم حالته قبل الجنون بمعنى أنه لو كان مؤمنًا قبل الجنون مباشرة حُكم عليه بالإيمان وإن كان غير مؤمن قبل الجنون مباشرة حكم عليه بعدم الإيمان، ويرجح البعض أن المجنون هو وأهل الفترة سيمتحنون يوم القيامة.

٣ـ بلوغ الدعوة:

كذلك بلوغ الدعوة شرط من شروط التكليف عند أهل السنة فلكي يكون الشخص مكلفًا لابد من وصول دعوة شرع صحيح جاء به رسول أُرسل إليه فإذا كان سيدنا موسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل وحدهم فالعرب غير مكلفين بالإيمان بدعوته حتى ولو بلغتهم لأنه لم يرسل إليهم، وبنو إسرائيل الذين لم يدركوا أنبياء وبلغتهم الدعوة بعد أن بدلت التوراة والإنجيل غير مكلفين لأنهم لم يبلغهم شرع صحيح.

وبناء على ذلك فالعرب قبل بعثة النبي محمد ﷺ وكذلك بنو إسرائيل الذين لم يبلغهم الشرع الصحيح هم من أهل الفترة وهم ناجون.

الواجب على كل مكلف شرعًا

قلنا إن المكلف هو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة.

وقد طلب الشرع من كل مكلف طلبًا جازمًا أن يعرف الله تعالى بمعرفة صفاته، وليس المقصود بمعرفة صفاته أن يعرف حقائقها لأن هذا مستحيل بل أن يعرف بعض الأحكام التي تتعلق بها كما سترى.

والشرع لغة الطريق.

واصطلاحًا ما جاء به النبي ﷺ من عند الله من الأصول(١) والفروع(٢).

ودليل وجوب هذا من الكتاب قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٣) ومن السنة قوله ﷺ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»(٤) وحقيقة المعرفة هي الجزم المطابق للحق عن دليل، والشهادة تنبني على العلم لا على الظن وغيره؛ فالشك والظن والوهم لا تكفي في العقائد بل هي كفر.

وهاهنا مسألة مشهورة تسمى بمسألة المقلد ما حكمه شرعًا؟! والمقلد هو من اعتقد الواجبات والجائزات ونفي المستحيلات في حق الله تعالى بلا دليل؛ أي إنه جزم جزمًا مطابقًا للحق بلا دليل وذلك كأن يتلقى العقائد الواجبة من غيره بلا دليل. فمثل هذا اختلف فيه العلماء على عدة أقوال؛ فقال الجمهور هو مؤمن ولكنه عاصٍ إن كان فيه أهلية للنظر ولم ينظر؛ أي إن كان يستطيع معرفة أدلة

---

(١) الأصول: أحكام العقائد.

(٢) الفروع: أحكام الفقه.

(٣) سورة محمد: ١٩.

(٤) متفق عليه.

العقائد ولم يفعل فهو عاصٍ لهذا وإيمانه صحيح، وقيل: هو مؤمن وغير عاصٍ، وقيل: كافر وليس بمؤمن، وهذان القولان ضعيفان.

وأما ما يلزم المكلف معرفته- فإننا نذكره هنا على وجه الإجمال ثم نفصله بعد ذلك- فهو ما يثبت في حق الله ﷻ، وهو قسمان: عام ومفصل؛ فالعام: أن يعرف ويعتقد أن كل كمال فهو واجب لله تعالى، والتفصيل أن يعرف ويعتقد بالصفات العشرين الواجبة، ويلزمه أن يعرف ما يستحيل في حق الله تعالى عمومًا وتفصيلًا فالعموم أن يعتقد أن كل نقص فهو مستحيل في حق الله تعالى، والتفصيل الاعتقاد بأضداد الصفات العشرين الواجبة، ويلزمه أن يعرف ويعتقد بما يجوز في حق الله عمومًا وتفصيلًا؛ فالعموم أن يعتقد أن فعل كل ممكن أو تركه فهو جائز في حق الله، والتفصيل بأن يعتقد العقائد السمعية كأمور الآخرة فإنها جائزة عقلًا وواجبة شرعًا.

ويلزمه شرعًا أن يعرف ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الرسل والأنبياء فهم يجب لهم الصدق والأمانة والفطانة ويجب للرسل إثبات التبليغ ويستحيل في حقهم الكذب والخيانة والكتمان والغفلة والبله، ويجوز في حقهم الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى النقص في مراتبهم العالية .

حكم التقليد في العقائد

التقليد هو أن يأخذ المكلف بقول غيره من غير أن يعرف دليله، والمراد بالأخذ اعتقاد مضمون المأخوذ ويشمل القول والفعل والتقرير، وكل ذلك من

غير أن يعرف دليله، فخرج من التعريف التلامذة بعد أن يرشدهم الأشياخ للأدلة؛ فهم عارفون لا مقلدون، وضرب أحد العلماء مثلًا للفرق بينهم وبين المقلدين بجماعة نظروا لهلال فسبق أحدهم لرؤيته فأخبرهم به فإن صدقوه من غير معاينة كانوا مقلدين وإن أرشدهم بالعلامة حتى عاينوه لم يكونوا مقلِّدين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾(1) دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر.

آراء العلماء في إيمان المقلد

المعرفة واجبة على المكلف وهي لا تتم إلا بالدليل الإجمالي أو التفصيلي؛ فإذا فقد الدليل فلا معرفة وأصبح التصديق تقليدًا؛ فهل يكفي التقليد في العقائد ويُعد إيمان المقلد صحيحًا بحيث ينجو به صاحبه من العذاب يوم القيامة ؟ وقع خلاف بين العلماء في الإجابة عن هذا السؤال، وهذا الخلاف جارٍ في النظر الموصل لمعرفته تعالى وفي غيره كالنظر الموصل لمعرفة الرسل، ولا فرق بين أهل المدن والقرى وبين من نشأ في جبل عالٍ، ونحن نرجح من هذه الآراء ما رجحه معظم العلماء، وهو أن التقليد يكفي مع العصيان إن كان عنده قدرة على النظر وتحصيل الدليل ولم يفعل، وبالتالي فلا عصيان إن لم تكن عنده قدرة، وهو مبني على أن المعرفة واجبة ولكنها تكون مشروطة بالاستطاعة أخذًا من قوله تعالى:

---

(1) البقرة: ١٧٠.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1]، وأيضًا لأن النبي ﷺ قَبِل من الناس الإيمان دون أن يطالبهم بالدليل، ولما سئل عن الإيمان في حديث جبريل المشهور قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر...**»[2] إلخ، دون أن يتعرض للدليل؛ فمن لم تكن عنده المقدرة على النظر والاستدلال تسقط عنه المطالبة بهما كما تسقط المطالبة بفريضة الحج من غير المستطيع.

ولذلك قال أبو منصور الماتريدي:أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم وأنهم حشو الجنة كما جاءت به الأخبار وانعقد به الإجماع؛ فإن فطرتهم جُبلت على توحيد الصانع سبحانه وقدمه وحدوث ما سواه وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح علماء العقيدة.

وبذلك فإيمان العوام صحيح .

أهل الفترة وحكمهم

أهل الفترة هم من كانوا بين رسولين لم يرسل إليهم الأول ولم يدركوا الثاني، وهناك فترات متعددة كالفترة التي حصلت بين نوح عليه السلام وإدريس، والفترة التي حصلت بين عيسى عليه السلام وسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم، وأبرز هذه الفترات هي الفترة التي كانت بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) متفق عليه.

عليهما الصلاة والسلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾(١):

ومذهب الأشاعرة وبه قال بعض الشافعية قالوا: من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجيًا.

وأدلتهم

١ـ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾(٢).

وجه الدلالة: أن الله- تعالى- أخبر أنه لا يعذب أحدًا قبل بعثة الرسل، وأهل الفترة لم يبعث إليهم رسول؛ فدل على أنهم لا يعذبون وأنهم في الجنة.

٢ـ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾(٣).

وجه الدلالة: أن الله – تعالى- أخبر أن خزنة جهنم يوبخون الكفار بعدما سيقوا إليها، ويسألونهم عن مجيء الرسل إليهم، وكان جواب هؤلاء الكافرين إليهم: بلى أي أنهم جاء إليهم رسل ولكن كفروا بهم، وأهل الفترة لم تأتهم رسل؛ لذلك فهم غير مؤاخذين وبالتالي فهم في الجنة.

---

(١) المائدة: ١٩.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) الزمر: ٧١

٣ـ ومن الأحاديث قوله ﷺ: «**ما من أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب**»(١).

وجه الدلالة: أن الله -تعالى- يقبل العذر من عباده لذلك فقد أرسل الرسل إليهم منذرين ومبشرين وأنزل الكتب ليقطع الحجة عليهم.



(١) رواه البخاري.

صفات الله وأسماؤه

الصفات الواجبة لله تعالى

أقسام الصفات: جرت عادة علماء التوحيد المتأخرين أن يقسموا الصفات الواجبة لله تعالى من حيث الإيمان بها إلى قسمين:

قسم يجب معرفته والإيمان به إجمالًا.

وقسم يجب معرفته والإيمان به تفصيلًا لما قام من الأدلة العقلية والنقلية على ذلك تفصيلًا وهي على النحو التالي:

١ - **الصفة النفسية**: وهي صفة الوجود، وهي ما يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها كما ستعلم ذلك بالتفصيل.

٢ - **الصفات السلبية**: وهي التي تسلب عن الله سبحانه كل نقص لا يليق بذاته المقدسة وهي خمس: القدم- البقاء- المخالفة للحوادث- القيام بالنفس- الوحدانية .

٣- **صفات المعاني**: وهي كل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تستلزم حكمًا معينًا له سبحانه، وهي القدرة - الإرادة- العلم- الحياة- الكلام- السمع- البصر، واختلفوا في صفة الإدراك.

٤ـ **صفات معنوية**: وهي كل صفة قائمة بموصوف توجب له حكمًا ككونه تعالى قادرًا بالنسبة لصفة القدرة الثابتة لله تعالى أو هي قيام صفات المعاني في الذات أي أن الله سبحانه وتعالى قادر بصفة تسمى القدرة فقيام القدرة في الذات

هي صفة معنوية وهي كونه تعالى قادرًا، وهي سبع كصفات المعاني: كونه عالمًا، كونه مريدًا كونه قادرًا، كونه سميعًا، كونه بصيرًا، كونه متكلمًا، كونه حيًّا.

وبذا تتم الصفات العشرون الواجب الإيمان بها تفصيلًا لقيام الدليل التفصيلي عليها حسبما نعرض ذلك إن شاء الله تعالى.

* * *

الفصل الأول

الصفات النفسية

وسميت نفسية لأن الوصف بها دل على نفس الذات دون معنى زائد عليها، والوصف بها غير معلل بعلة، وهي صفة واحدة هي الوجود.

الصفة النفسية (الوجود)

صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها.

فالوصف بالوجود لا يدل على معنى زائد على الذات، فإذا قلنا: إن الله موجود كان المراد إثبات الوجود أو الذات فقط فالوجود هو نفس الذات ثم إن صفة الوجود غير معللة بعلة أي غير مرتبطة بصفة أخرى واجبة لله وذلك حتى تخرج الصفات المعنوية فإن ثبوتها لله تعالى تابع لثبوت صفات المعاني، فكونه سميعًا تابع لثبوت صفة السمع.

وعلماء العقيدة يقولون: «إن الله تعالى واجب الوجود»، ومعنى كون الله واجب الوجود أي لا يجوز عليه العدم ولا يقبله لا أزلًا ولا أبدًا؛ فوجوده سبحانه حق واجب وما سواه جائز ممكن.

هل يحتاج وجود الله تعالى إلى دليل؟

انقسم العلماء في هذا الموضوع إلى فريقين:

فريق يرى أن وجود الله تعالى أمر ضروري لا يحتاج إلى دليل لأنه ثابت في فطرة الإنسان.

وفريق يرى أن وجوده أمر نظري يحتاج في إثباته إلى الأدلة، ولو كان ضروريًا ما اختلف فيه أحد وما كفر بعض الخلق.

ويرى **الفريق الأول** أن مهمة الرسل كانت لتوحيد الله لا لإثبات وجوده فإن الرسل لم يأتوا ليُعْلموا الناس بوجود الله وإنما أتوا ليدعوا الناس إلى توحيد الله بعد أن أشركوا به، وأن وجود الله تعالى ثابت في الفطرة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

ويؤكد هذا الفريق رأيه في أن وجود الله فطري لا يحتاج إلى دليل بالآيات القرآنية الآتية: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾[2].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ﴾[3].

---

(١) الأعراف: ١٧٢-١٧٤.

(٢) العنكبوت: ٦١.

(٣) العنكبوت: ٦٣.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(١).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٢).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٣).

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٤).

وكذلك فإننا نرى أن عاطفة التدين موجودة في جميع بني البشر، وأن جميع ما في السموات والأرض يعرف الله تعالى ويذكره قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٥). وقد أيدت الأبحاث العلمية هذه القضية حيث أثبتت وجود نوع من التدين لدى جميع المجتمعات وأن من ينكر وجود الإله إنما يستبدل وجود إله بإله.

---

(١) الزمر: ٣٨.

(٢) الزخرف: ٩.

(٣) الزخرف: ٨٧.

(٤) إبراهيم: ٩-١٠.

(٥) الإسراء: ٤٤.

لكن الإنسان بعد ميلاده يتأثر بعوامل كثيرة مثل: البيئة الفاسدة والتنشئة الخاطئة، والمصالح المادية والميول والأهواء ودور إبليس وأعوانه في هذا الوجود، وهذه المؤثرات تلعب دورًا خطيرًا في انحراف الفطرة الإنسانية.

من هنا احتاج الناس إلى التنبيه وإلى التذكرة وذلك عن طريق إرسال الرسل ونزول الكتب.

ومن هنا جاءت آيات القرآن الكريم لتنبه ولتذكر، وخاصة أن وسائل المعرفة لدى الإنسان من حواس وعقل معرضة للخطأ وأن موضوع معرفة وجود الله أجلُّ من أن يحده شيء أو يحيط به تصور بل إن الوضوح الظاهر أو شدة الظهور قد يكون سببًا في الخفاء والالتباس.

ويضرب لنا أبو حامد الغزالي مثلًا لذلك فيقول:

«إن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره؛ فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببًا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئًا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره.

فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول.. فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره».

وبغض النظر عن الخلاف في مسألة الاستدلال على وجود الله فإننا سنعرض هنا مجموعة من الأدلة على وجود الله تعالى؛ سواء اعتبرها القارئ أدلة أو من باب التذكير والتنبيه على ما أودع في الفطرة:

أولًا: دليل الحدوث:

وهو الدليل الذي يذكره أغلب علماء العقيدة في كتبهم.

استدل علماء العقيدة على وجود الله تعالى بدليل الحدوث ويقصدون به أن العالم- وهو ما سوى الله تعالى- حادث وُجد بعد عدم وأن الذي أوجده هو الله وحده لأن الله قديم (أي ليس له بداية).

ويصوغون هذا الدليل هكذا: العالم حادث، وكل حادث لابد له من محدث قديم إذن فالعالم لابد له من محدث قديم.

والقضية الأولى «العالم حادث»، والقضية الثانية «كل حادث لابد له من محدث قديم».

دليل القضية الأولى: العالم حادث

استدل العلماء على حدوث العالم بالتغير وقالوا: العالم متغير، وكل متغير حادث إذن العالم حادث؛ فإننا نشاهد التغير في الليل والنهار والحركة والسكون والحرارة والبرودة والحياة والموت» إلخ.

والإنسان يكون نطفة وعلقة ومضغة وعظامًا وطفلًا وشابًا وشيخًا.

والعناصر تتفاعل، فتركيب الأوكسجين والهيدروجين بنسبة معينة ينتج الماء، وهذا الماء تحت ضغط حرارة معينة يتحول إلى بخار والبخار يمكن تكثيفه فيعود ماء فكل شيء يتغير.

دليل القضية الثانية: كل حادث لابد له من محدث قديم.

فهذا الوجود قائم على حكمة وإتقان، وليس من المعقول أن يكون الحادث الذي هو العالم وُجِد مصادفة فإن المصادفة لا تخلق نظامًا دقيقًا رائعًا.

وليس من المعقول أن يكون الحادث أوجده حادث مثله لأنهما متساويان يجري في أحدهما ما يجري في الآخر فيحتاج كل منهما إلى محدِث قديم.

إذن العالم كله حادث وبما أنه حادث وموجود بعد العدم فهو محتاج إلى من يحدثه ويوجده من العدم؛ لأنه يستحيل عقلًا أن يوجد حادث بلا محدِث أو فعل بلا فاعل، وهذا أمر معلوم لا يحتاج إلى دليل ويعترف به كل الناس، وذلك المحِدث الذي أحدثه وأوجده من العدم هو (الله) جل في علاه؛ خاصة أنه لم يدَّعِ أحد- خلال عصور التاريخ المختلفة- أنه هو الذي أحدث العالم وأوجده بعد أن لم يكن، ولم يزعم أحد أنه هو الذي أحدث نفسه حتى الذين ادعوا الألوهية لم يزعموا ذلك؛ إنما الذي ذكر ذلك على ألسنة رسله هو الله تعالى، والدعوى تسلم لصاحبها ما دام لم ينازعه فيها أحد.

وقد سئل أعرابي عن الدليل على وجود الله؟ فقال: البَعْرة تدل على البعير، والروث[1] على الحمير وآثار الأقدام على المسير؛ فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج؛ أمَا يدل ذلك على العليم الخبير!!

وقد أشار القرآن الكريم إلى دليل الحدوث؛ قال تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾[2].

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[3].

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾[4].

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[5].

فالإنسان والكون كله لا يمكن أن يوجد من غير خالق، ولا يعقل أن يخلق الإنسان نفسه، فقد كان نطفة ثم جنينًا لا قدرة له ولا قوة، وإذا كان الإنسان عاجزًا عن أن يخلق نفسه فكيف يخلق السموات والجبال والكواكب والزروع والثمار... إلخ.

---

(١) الروث: أي فَضَلات الحيوان.

(٢) العنكبوت: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٢٩.

(٤) الأنبياء: ١٠٤.

(٥) الطور: ٣٥-٣٦.

إن الحقيقة التي لا تقبل الشك أو الجدل أن خالق كل ذلك هو الله.

ثانيًا: دليل الإمكان:

وهو الذي يذكره أغلب فلاسفة الإسلام.

وهذا الدليل يعتمد على قضيتين:

الأولى: أن هذا العالم ممكن.

والثانية: أن كل ممكن محتاج لكي يوجد إلى سبب يمنحه الوجود.

والنتيجة لهاتين القضيتين: أن العالم محتاج في وجوده إلى سبب يمنحه الوجود وهذا الذي منحه الوجود هو الله رب العالمين.

أما توضيح **القضية الأولى فهو**: أن كل كائن من الكائنات صالح في ذاته للوجود والعدم وليس أحدهما أولى من الآخر وما كان كذلك فهو أمر ممكن؛ لأن مفهوم الممكن: هو ما يستوي طرفاه من حيث الوجود والعدم.

وأما **القضية الثانية**: فهي واضحة؛ لأن ترجيح الوجود على العدم محتاج إلى فاعل يرجحه وإلا لزم الترجيح بلا مرجح وهذا أمر محال عقلًا.

ولابد أن يكون الفاعل أمرًا غير الممكن وغير المستحيل وهو الواجب وهو الله تعالى.

ثالثًا: دليل الخلق:

ويسمى دليل الإبداع ودليل الاختراع.

ودليل الخلق يعتمد على قضيتين:

القضية الأولى: أن هذه الموجودات مخلوقة؛ فإن ذواتنا نحن لم تكن موجودة ثم وُجِدت، ولكل منا وقت وُجد فيه لم يكن قبله موجودًا، وكذلك عالم الحيوان وعالم النبات وعناصر الكون مهما اختلف العلماء في تقدير أعمارها فهم متفقون على أنها لم تكن موجودة ثم وجدت.

والقوانين العلمية مثل (قانون الطاقة المتاحة) يثبت أن للكون بداية فهو إذن مخلوق.

كما أن فناء الأشياء- كما نراه- يدل على أنها مخلوقة؛ إذ الأزلي لا يفنى، ويقاس عليها مثيلاتها من الممكنات الموجودة فهي قابلة للفناء أيضًا فهي مخلوقة.

والقضية الثانية: وهي كل مخلوق له خالق؛ قضية معلومة لا تحتاج إلى دليل وهي ثابتة في فطرة الإنسان.

إنه إذا وقعت حادثة لم يُعرف فاعلها قيل: إن الفاعل مجهول، ولم يقل أحد إطلاقًا: إنه ليس لها فاعل؛ فكيف يُراد من العقلاء أن ينكروا خالق هذا العالم بما فيه من إبداع وإتقان؟

إننا لم نكن شيئًا فكنا؛ فمن كَوَّننا؟

﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾(١).

---

(١) الأنعام: ٩١.

نماذج من عرض القرآن لدليل الخلق

١ـ خلق السموات والأرض:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[(١)].

ورد الحديث عن خلق السموات والأرض في حوالي (٤٢) موضعًا من القرآن الكريم- وهذا الموضع أكثر تفصيلًا حيث يبين أنه تعالى خلق الأرض في يومين وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في يومين آخرين، وفرغ من السموات في يومين فكان خلق السموات والأرض في ستة أيام كما صرح بذلك القرآن الكريم في أكثر من سورة، وقد كانت السموات والأرض شيئًا واحدًا متصلًا خلقه الله تعالى من الماء؛ فقد قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي

---

(١) فصلت: ٩-١٢.

ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾(١).

وجاء في الحديث الشريف: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض»(٢).

وقد حدد القرآن عدد السموات بأنها سبع سموات؛ فقال تعالى:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾(٣)

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ ﴾(٤)

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾(٥).

أما الأرض فمع تكرر ذكرها في القرآن الكريم (٤٦١) مرة إلا أنه لم ترد إلا آية واحدة تشير إلى عددها، وهي: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾(٦).

---

(١) الأنبياء: ٣٠-٣٢.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الإسراء: ٤٤.

(٤) الملك: ٣.

(٥) نوح: ١٥-١٦.

(٦) الطلاق: ١٢.

٢ـ خلق الإنسان:

ورد الحديث عن خلق الإنسان في القرآن الكريم في (٤٢) موضعًا.

منها ما يتعلق بخلق الإنسان الأول سيدنا آدم عليه السلام، ومنها ما يتناول خلق زوجه حواء، ومنها ما يدور حول خلق نسلهما.

أما ما يتصل بخلق الإنسان الأول (آدم) فإن القرآن فصَّل ذلك وبَيَّن مراحل خلقه؛ ليثبت وجود الخالق ويظهر دلائل علمه وقدرته.

ولقد بيَّن القرآن (المادة) التي خلق منها آدم وكيف تحولت من حال إلى حال حتى صار بشرًا سويًّا صالحًا لأن يكون خليفة في الأرض.

وهذه المادة هي (التراب) قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١).

و(الماء) قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾(٢).

ومن التراب والماء كان (الطين) قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾(٣). وهو طين (لازب) أي لازق؛ يلصق باليد؛ قال

(١) آل عمران: ٥٩.
(٢) الفرقان: ٥٤.
(٣) ص: ٧١.

سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾(١)، واختار منه (سلالة) منتقاة؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾(٢).

وهذه السلالة اسودت وتغيرت فصارت (الحمأ المسنون)؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾(٣). أي من طين يابس، يصلصل أي يُصدر صوتًا؛ كائن من حمأ مسنون فهو كالفخار قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾(٤).

وبعد ذلك (سوَّاه) أي خلقه، ونفخ فيه من روحه؛ قال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(٥).

وأما ما يتعلق بخلق (حواء) فقد أوجز القرآن الحديث عنه؛ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾(٦). وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾(٧).

---

(١) الصافات: ١١.
(٢) المؤمنون: ١٢.
(٣) الحجر: ٢٦.
(٤) الرحمن: ١٤
(٥) ص: ٧١- ٧٢.
(٦) النساء: ١.
(٧) الأعراف: ١٨٩.

وأما حديث القرآن عن خلق نسل آدم فهو حديث مفصَّل جاء في أكثر من موضع، وكل هذه المواضع تدل على وجود الخالق العظيم وسعة علمه وقدرته.

من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾(١).

وإذا كان المراد بالإنسان في هذه الآيات الكريمة هو الإنسان الأول- سيدنا آدم- فإنه خلق من سلالة من الطين على النحو الذي وضحته الآيات الكريمة التي سبق ذكرها.

وإذا كان المراد بالإنسان الإنسان عمومًا آدم ونسله فإن العلم الحديث أثبت أن جسم الإنسان يتكون من العناصر التي يتكون منها التراب؛ فهو يتكون من الكربون والأكسوجين والهيدروجين والفوسفور والكبريت والأزوت والكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والكلور والمغنسيوم والحديد والمنجنيز والنحاس واليود والكوبالت والزنك والسليكون والألومنيوم، وهذه نفسها هي العناصر المكونة للتراب وإن اختلفت نِسَبها في إنسان عن آخر وفي الإنسان عن التراب إلا أن أصنافها واحدة.

---

(١) المؤمنون: ١٣-١٤.

ومن هذه العناصر يتكون الغذاء، ومنه تكون النطفة التي هي عبارة عن مني الذكر وبويضة الأنثى.

إنها خلية واحدة ولكنها الدليل على وجود الخالق جل في علاه، وقد وصف الله رحم الأم بالقرار المكين.

وتبدأ هذه الخلية الواحدة تنمو وتتكاثر فمنها يتكون اللحم والجلد والأنسجة والغضاريف والسوائل والأجهزة المتنوعة المختلفة للإنسان، والعجيب أن هذه الخلية الواحدة تحمل الصفات الوراثية سواء كانت جسمية أو عقلية أو نفسية!!

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[1] ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾[2].

انظر إلى الجنين: كيف يتغذى في بطن أمه وكيف يتنفس، وكيف أن الحبل السري الذي يربطه بأمه ليتغذى به منها قد روعي عند تكوينه ما يحقق الغرض الذي تكوَّن من أجله دون إطالة قد تسبب تخمر الغذاء فيه أو قِصَر قد يؤدي إلى اندفاع الغذاء إليه مما قد يؤذيه ويضره إذا ما تأملنا ذلك فلا نملك إلا أن نعترف بقدرة الصانع سبحانه وتعالى.

(١) الطارق: ٥-٧.

(٢) المرسلات: ٢٠-٢٤.

وتأمل كيف هيأ الله للجنين الجو المناسب والوضع الملائم فأحاطه بثلاثة أغشية لا تتأثر بالحرارة الخارجية ولا ينفذ منها الماء أو الضوء ولا تؤذيه رائحة ما في جوف أمه: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ۝﴾(1).

وتبدأ الأم تشعر بحركة الجنين بعد مائة وعشرين يومًا عند نفخ الروح فيه، وهذه الروح هي التي سيترتب عليها التكليف والحساب بعد البلوغ، وهي تختلف عن الحياة الأولية التي كانت موجودة في الخلية.

وتمر أيام الحمل حتى تحين لحظة الولادة، ولكن كيف يخرج هذا الجنين من هذا المكان الضيق بعد أن كبر حجمه وزاد وزنه؟

إن الله سبحانه وتعالى يهيئ أسباب ذلك؛ فيفرز الرحم السوائل اللازمة لخروج الجنين إلى الخارج؛ يقول تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾(2).

ويظهر مما قدمناه من الآيات قدرة الله تعالى وانفراده بالخلق.

رابعًا: دليل التسخير:

وهذا الدليل يعتمد على ما نشاهده في هذا الكون من تسخير كل أجزائه لخدمة الإنسان، وهذا التسخير يدل دلالة قاطعة على وجود فاعل قادر حكيم.

---

(1) الزمر: 6.

(2) عبس: 17-20.

تأمل تسخير عالم الأفلاك للإنسان؛ يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾(1).

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ ﴾(2).

﴿ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ ﴾(3).

وتأمل تسخير عالم الحيوان والطيور يقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾(4).

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(5).

---

(1) الرعد: 2.

(2) الأنعام: 96-97.

(3) النحل: 12.

(4) النحل: 66.

(5) النحل: 69.

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾(١).

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٧٩ ﴾(٢).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩ ﴾(٣).

وانظر إلى تسخير عالم النبات للإنسان؛ يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾(٥).

---

(١) الزخرف: ١٢-١٣.
(٢) النحل: ٧٩.
(٣) الملك: ١٩.
(٤) النحل: ١٠-١١.
(٥) الأنعام: ١٤١.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾(1).

تفكر في تسخير الرياح والبحار والأنهار؛ يقول سبحانه:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ ﴾(2).

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(3).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(4).

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(5).

---

(1) عبس: ٢٤-٣٢.
(2) الأعراف: ٥٧.
(3) الروم: ٤٨.
(4) النحل: ١٤.
(5) النمل: ٦١.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(١).

وتأمل في تسخير أجهزة جسمك وأعضائه لك

إن ما يسهل استخدامه والتحكم فيه قد سخَّره الله لك حسب إرادتك واختيارك؛ فلك أن تنظر بعينيك وأن تخطو بقدميك وأن تعمل بيديك وأن تنطق بلسانك وشفتيك، وهكذا.

أما ما يصعب على الإنسان التحكم فيه من أجهزته وأعضائه فقد سخَّره الله له اضطرارًا يعمل ليلًا ونهارًا.

وتأمل تسخير جهازك (الهضمي) وما فيه من: معدة وأمعاء وكبد وبنكرياس.

وجهازك (الدوري) وما فيه من: قلب وشرايين وأوردة وشعيرات دموية.

وجهازك (التنفسي) وما فيه من: أنف وحنجرة وقصبة هوائية ورئتين.

فمن سخر كل ذلك للإنسان؟ ليس إلا الله جل في علاه.

خامسًا: دليل إجابة المضطر:

ويسمى الدليل النفسي، وهو يعتمد على ما يشعر به كل إنسان في وقت الشدة والضيق أو الحيرة والقلق أو المرض أو الحاجة من وجود قادر حنَّان كريم

(١) الشورى: ٣٢-٣٣.

يجيب دعاءه إذا سأله ويفرج همه إذا تضرع إليه ويكشف ما به من سوء إذا لجأ إليه، وكل إنسان مرَّ بهذه الأوقات!!

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(١).

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(٢).

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٣).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾(٤).

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٥).

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(٦).

---

(١) الأنعام: ٤٠-٤١.
(٢) الأنعام: ٦٣-٦٤.
(٣) يونس: ١٢.
(٤) الإسراء: ٦٧.
(٥) النمل: ٦٢.
(٦) العنكبوت: ٦٥.

ولقد سأل رجل الإمام جعفر الصادق عن «الله» فقال له: ألم تر البحر؟ قال: بلى، فقال له: فهل حدث لك مرة أن هاجت بك ومن معك الريح العاصفة؟ قال: نعم، فقال له: وهل انقطع بك الأمل أنت ومن معك في النجاة؟ قال: نعم.

فقال له: فهل خطر ببالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذكم مما أنتم فيه من بلاء؟ قال: نعم، فقال له الإمام جعفر: فذلك هو «الله».

مناقشة مع الملحدين

بعد أن ذكرنا الأدلة المختلفة على وجود الله نود مناقشة الملحدين الماديين، والماديون هم الذين لا يؤمنون بوجود شيء إلا المادة فقط فما يرى بالعين أو يسمع بالأذن أو يشم بالأنف أو يذاق بالفم أو يلمس باليد هو الموجود وغير ذلك ليس موجودًا.

ويرون أن وسيلة المعرفة هي التجربة فقط ولا وسيلة غيرها.

فهم يحصرون الوجود في الأشياء المادية وظواهرها.

وينكر الماديون بناء على ما تقدم وجود إله خالق لهذا الكون، وما يترتب على وجود هذا الإله من إمكان النبوة والبعث والخلود وما إلى ذلك.

وكثيرًا ما نسمع منهم أن العالم وُجد بالطبيعة أو وُجد بالصدفة وأنه قديم لا بداية له وسيستمر إلى غير نهاية.

ونريد أن نناقشهم فيما يلي:

١ - هناك أشياء يؤمن بوجودها العلماء الماديون ويبنون عليها نظرياتهم ولم يرها عالم واحد منهم. مثال ذلك:

الألكترونات التي يؤمن بوجودها العلماء ويؤسسون على وجودها كثيرًا من النظريات والمخترعات.

والأثير الذي يتصورونه شيئًا موجودًا لطيفًا لا وزن له غير قابل للضغط وهو يملأ الوجود كله.

والجاذبية التي يعتبرون وجودها حقيقة علمية ويفسرون بها كثيرًا من الظواهر.

فماذا يقول الماديون في هذه الأمور؟ أيستطيع واحد منهم أن يدعي أنه قد رأى شيئًا منها؟

فلماذا ينكرون وجود إله لا نراه الآن؟ إنما نوقن بوجوده عن طريق آثاره وأفعاله.

يقول علماء الطبيعة: إن الضوء لا يُرى وإنما نحسه بآثاره، وعندما اقترب العلماء من الشمس- وهي المصدر الطبيعي للضوء- كان المتوقع أن يكون الضوء أقوى وأشد؛ لكن كان العكس؛ لم يجدوا ضوءًا قط وذلك لعدم وجود شيء يظهر به الضوء كالغبار والذرات المائية مثلًا.

فالضوء خلق من خلق الله ولا يرى؛ فكيف يُستبعد وجود خالق لا يُرى الآن!!

٢- وإلى هؤلاء القائلين بأن العالم خلق بالطبيعة نوجه إليهم هذا السؤال: ما الطبيعة؟ ما المقصود بها؟ وما حقيقتها؟

هل هي شيء حي أو ميت؟ قادر أو عاجز؟ عالم أو جاهل؟

فإن قالوا: حي قادر عالم فهو: الله.

أما إن كان غير ذلك فلا يتصور منه إيجاد أو خلق؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

وتأمل ما كتبه الشيخ محمد الغزالي:

«دار بيني وبين أحد الملاحدة جدال طويل ملكت فيه نفسي وأطلت صبري...

قال: إذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله؟

قلت له: كأنك بهذا السؤال أو بهذا الاعتراض تؤكد أنه لا بد لكل شيء من خالق.

قال: لا تلقني في متاهات، أجب عن سؤالي.

قلت له: لا لف ولا دوران؛ إنك ترى أن العالم ليس له خالق: أي أن وجوده من ذاته دون حاجة إلى موجد. فلماذا تقبل القول بأن هذا العالم موجود من ذاته أزلًا وتستغرب من أهل الدين أن يقولوا: إن الله الذي خلق العالم ليس لوجوده أول؟

إنها قضية واحدة. فلماذا تصدق نفسك حين تقررها وتكذب غيرك حين يقررها؟

وإذا كنت ترى أن إلهًا ليس له خالق خرافة فعالم ليس له خالق خرافة كذلك وفق المنطق الذي تسير عليه.

قال: إننا نعيش في هذا العالم ونحس وجوده فلا نستطيع أن ننكره؟

قلت له: ومن طالبك بإنكار وجود العالم؟

إننا عندما نركب عربة أو باخرة أو طائرة تنطلق بنا في طريق رهيب فتساؤلنا ليس في وجود العربة، وإنما هو: هل تسير وحدها أو يسيرها قائد بصير؟

ومن ثم فإنني أعود إلى سؤالك الأول لأقول لك: إنه مردود عليك.

فأنا وأنت معترفان بوجود قائم لا مجال لإنكاره. تزعم أنه لا أول له بالنسبة إلى المادة. وأرى أنه لا أول له بالنسبة إلى خالقها، فإذا أردت أن تسخر من موجود لا أول له فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتدينين».

٣- أما القائلون بأن العالم خلق بالصدفة فإننا نقول لهم: من أين للعالم هذا النظام العجيب وهذا الترتيب الدقيق الذي يدهش العقول ؟

إن ما يحدث صدفة لا يتكرر، ولولا هذا التكرار المنظم ما استطعنا أن نقيم علمًا واحدًا من العلوم الطبيعية والرياضية.

إننا نقول لهؤلاء الملحدين القائلين بالصدفة أو غيرها متى أقامت الصدفة قصرًا أو خلقت بشرًا سويًّا أو أبدعت حديقة بهيجة، أرأيتم لو أنه جاء إنسان بآلاف من حروف الطباعة أو بملايين منها وأخذ يحركها يومًا بعد يوم وأسبوعًا بعد أسبوع وسنة بعد سنة أتراه يحصل منها- مصادفة- بتركيب لها هو كتاب من

كتب الأدب أو الفلسفة أو معجم من معاجم اللغة؛ إنه كما يقول المستشرق سانتلانا-: لو دام على تحريكها السنين والدهور لما حصل من تعبه إلا على حروف، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتصور- كما يقول سانتلانا أيضًا- حدوث هذا العالم بما عليه من الإتقان والإحكام وعجيب مناسبة الأجزاء بعضها لبعض من حركات اتفاقية في خلاء لا نهاية له كما يقول الماديون.

وهذا ما جعل سقراط فيلسوف اليونان يقول: «هذا العالم يظهر على النحو الذي لم يترك فيه شيء للمصادفة إطلاقًا» ومن بعد سقراط بعده قرون جاء الدكتور «أ.ج كرونين» ليقول: «إذا تأملنا الكون وأسراره وعجائبه ونظامه وضخامته وروعته لابد أن نفكر في إله خالق».

ولقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزيء واحد من الأحماض الأمينية- وهي المادة الأولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم- فوجدوا أن ذلك يحتاج إلى بلايين عديدة من السنين وإلى مادة لا يتسع لها هذا الكون الواسع الفسيح!!

هذا لتركيب جزيء واحد على صِغَره وقلته فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعًا من نبات وحيوان، وما بالك بما لا يحصى من المركبات المعقدة الأخرى، وما بالك بنشأة الحياة وبملكوت السموات والأرض.

إنه يستحيل عقلًا أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء لابد لكل ذلك من خالق مبدع خبير أحاط بكل شيء علمًا.

يقول عالم الطبيعة البيولوجية الدكتور (فرانك ألن): «إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صورًا عديدة ولا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية؛ فالأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تسبح حول الشمس مرة في كل عام فيكون في ذلك تتابع الفصول الأربعة الذي يؤدي بدوره إلى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا، ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض ساكنة».

ويقول الدكتور (جون كليفلاند كوثران) رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث: «هل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟ أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟ لا شك أن الجواب سوف يكون سلبيًّا، بل إن المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة فإن كل ذلك يتم طبقًا لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها».

ولقد شهد الفلاسفة والمفكرون وكل من له عقل سليم بأن الذي لا يقر بوجود الله هو ذلك الإنسان الذي ألغى عقله ولم يستمع لنداء الفطرة أو الضمير؛ يقول الفيلسوف باسكال: «كل شيء غير الله لا يشفي لنا غليلًا» ويقول

شاتوبريان: «لم يتجرأ على إنكار الله غير الإنسان» ويقول لاتييه: «الكلمة التي تجحد الخالق تحرق شفة المتلفظ بها».

ونختم هذا البحث بقول الله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[1].

* * *

---

(١) فاطر: ٣.

الفصل الثاني

الصفات السلبية

تمهيد

ذكرنا سابقًا أن الصفات السلبية هي التي تدل على سلب كل ما لا يليق بذاته تعالى أي تسلب من الذهن أضدادها.

ونسبت إلى السلب لأنها مفسرة به مثلًا سلب أولية الوجود و(البقاء) سلب أخريته عنه عز وجل وهكذا، وبتوضيح أكثر: الصفات السلبية هي التي مفهومها سلب ضدها عن موصوفها أو ما كان السلب داخلًا في معناها، وهي خمسة: القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية.. فإذا قلنا مثلًا: «الله قديم» فالقدم صفة سلبية؛ لأن معنى القديم: هو عدم أولية الوجود أو عدم الحدوث أو لا أول لوجوده أو ليس لوجوده بداية فنلاحظ أننا استخدمنا السلب في المفهوم وهو كلمة «عدم»، «لا»، «ليس» وهي كلها تعبيرات سالبة أي نافية.

وهي غير منحصرة في خمس صفات على الصحيح.

واقتصر علماء العقيدة على ذكر خمس صفات فقط لأنها من مهمات أمهاتها، ولأن الشارع الحكيم لم يكلفنا تفصيلًا إلا بها، ولأن ما سواها يعود إليها وما عداها فرع عنها ويمكن رده إليها؛ فمثلًا: نفي الجسمية ولوازمها من المكانية

والجهة يمكن رده إلى صفة (المخالفة للحوادث) ونفي الزوجة والولد والمعين يمكن رده إلى (الوحدانية)، ومنهجنا سيقوم على ذكر تعريف كل صفة والاستدلال عليها من العقل والنقل؛ فإلى الحديث عن أول صفة من الصفات السلبية الخمس:

١. صفة القدم:

وهذه الصفة تعني أن وجود الله تعالى بلا بداية، وهذا القدم ذاتي أي أنه من طبيعة الذات إلاهية ليس ممنوحًا من أحد، وهذه الصفة واجبة لله تعالى.

الدليل النقلي:

قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ** ﴾.

فالأول هو قبل كل شيء بلا بداية، والآخر هو بعد كل شيء بلا نهاية.

وقد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن معه شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وهو كائن وخلق السموات والأرض**»(١).

الدليل العقلي:

لو لم يكن الله تعالى قديمًا لكان حادثًا، ولو كان حادثًا لاحتاج إلى محدِث وهكذا محدثه يحتاج إلى محدث لانعقاد المماثلة بينهما حتى تنتهي إلى الدَّوْر(٢) أو

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الدور: توقف شيء على شيء قد توقف على الأول.

التسلسل[1] وكلاهما باطل، ويلزم أن حدوثه باطل كذلك، وإذا ثبت بطلان الحدوث ثبت القدم إذ لا واسطة بينهما، وهو المطلوب.

والذي نتتهي إليه:

أن قِدَم الله واجب لذاته أي أن ذاته تعالى تقتضي قدمه لذاته فلو كان قدمه لغيره لكان مخلوقًا لا خالقًا.

جميع ما سوى الله وُجِد بعد عدم، ومن قال بِقِدم العالَم فهو كافر طبقًا لما قرره الإمام الغزالي لأنه أنكر شيئًا من القرآن، وفي إنكار الجزء إنكار الكل؛ كيف وقد قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

٢. صفة البقاء:

مفهوم صفة البقاء: أي عدم آخرية الوجود أو عدم لحوق الفناء بذاته تعالى؛ فوجوده مستمر إلى ما لا نهاية فلا يطرأ عليه فناء ولا يلحقه عدم، وبقاؤه لذاته، ولا مؤثر لأحد عليه سبحانه في بقائه، وقضت حكمته أن يخلق البشر فيجعل لهم ابتداء وأن يبعثهم بعد موتهم لحياة باقية لا تنتهي غير أنه بقاء بإبقاء الله تعالى لهم.

الدليل النقلي على ثبوت البقاء له تعالى:

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[3]

---

(١) التسلسل: تعاب الحوادث في الماضي بلا بداية؛ فما من حادث إلا وقبله حادث إلى ما لا نهاية.

(٢) البقرة: ١١٧.

(٣) البقرة: ١١٧.

والمراد بالوجه هنا الذات فإنها لا تفنى ولا تهلك.

الدليل العقلي:

لو لم يكن باقيًا لجاز عليه العدم ولو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم لكن قد ثبت اتصافه بالقدم فاستحال عليه العدم ووجب له سبحانه البقاء.

وهنا أمور يجب التنبيه عليها لأهميتها:

منها: عدمنا في الأزل لا أول له وله آخر، والمخلوقات لها أول ولها آخر ما عدا نعيم الجنة وعذاب النار فلهما أول وليس لهما آخر فكل منهما باقٍ شرعًا، ودوام نعيم أهل الجنة واستمرار عذاب أهل النار – والعياذ بالله – أبد الآبدين مما علم من الدين بالضرورة، وتواترت الأمة على بقائهما مدى الأزمان.

٣. صفة المخالفة للحوادث:

معناها: مغايرته لمخلوقاته وعدم مماثلته لها فليست هناك ذات تشبه ذاته سبحانه فهو ليس بجسم ولا تعرض له عوارض النقص كالنوم والغفلة وما إلى ذلك من العوارض النفسية والجسمية المختلفة التي تعرض للمخلوقات، كما أن صفاته مغايرة لصفات خلقه؛ فصفاته تامة كاملة قديمة بخلاف صفات المخلوقين.

وأفعاله – جل جلاله – مغايرة لأفعال خلقه فلا يوصف أمر يريده بسهولة أو صعوبة أو خِفَّة أو ثِقَل.

الدليل النقلي على مخالفته للحوادث:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٢) أي لم يماثله ولم يشاكله أحد.

الدليل العقلي:

لو لم يكن مخالفًا للحوادث لكان مماثلًا لها، ولو كان مماثلًا لها لكان حادثًا مثلها، ولو كان حادثًا مثلها لما ثبت له القدم، وما دام قد ثبت قدمه فإنه- تعالى- يستحيل عليه الحدوث، وبالتالي يستحيل ما يؤدي إليه وهو المماثلة للحوادث ويثبت له مخالفته للحوادث، وهو المطلوب.

ويمكننا أن نستدل بدليل آخر على مخالفته تعالى للحوادث فنقول: لو لم يكن مخالفًا للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله لكان حادثًا مثلها ولو كان حادثًا لاحتاج إلى من يُحْدثه، والاحتياج نقص، والنقص محال على الله تعالى؛ فبطل ما أدى إليه وثبت أنه مخالف للحوادث.

تنبيهان:

١ - لا يعلم حقيقة الله إلا الله، ولذلك نهى النبي ﷺ عن التفكير في ذات الله فقال: «**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره**»(٣).

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) الإخلاص: ٤.

(٣) رواه أبو نعيم، والطبراني.

وقال بعض السلف: «كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك».

٢- أن المخلوق قد تتشابه بعض صفاته مع الخالق ولكنه تشابه في الاسم فقط فمثلًا يوصف الله بالقدرة ويوصف العبد بالقدرة ولكن قدرة الخالق غير قدرة المخلوق فقدرة الله تعالى لا يقف أمامها شيء بينما قدرة المخلوق محدودة، وكذلك يوصف الله بالعلم ويوصف المخلوق بالعلم ولكن علم الله بلا حدود يشمل ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون بينما علم المخلوق قاصر ومحدود وعلم الله كذلك لا يسبقه جهل بينما علم المخلوق يسبقه جهل.

فإن الله تعالى ليس كمثله شيء.

٤- القيام بالنفس

وتسمى صفة القيومية

ومعناها: أنه تعالى مستغنٍ عن غيره استغناء تامًّا فهو لا يحتاج إلى محل؛ لأن الحالَّ في محل محتاج إلى ذلك المحل، والله لا يحتاج إلى مكان ولا زمان؛ لأنه خالق ذلك كله فلا يحويه مكان ولا يحصره زمان؛ لأنه كان قبل المكان وقبل الزمان.

وهو غير محتاج إلى مخصص يُخصصه ببعض الصفات دون بعض.

فهو مستغنٍ عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه.

ويلزم من قيامه بنفسه أنه واحد أحد غير مركب من أجزاء وإلا لكان محتاجًا إلى كل جزء من أجزائه، وكل جزء غيره، وكل مركب متقوِّم بغيره فلا يكون متقومًا بنفسه ولا مقومًا لكل ما عداه.

ويلزم من كونه قيومًا أن كل ما سواه حادث موجود بإيجاده.

وتكرر وصف الله بالحي القيوم في القرآن ثلاث مرات: في سورة البقرة وآل عمران وطه، والقيوم: القائم بنفسه المانح لغيره ما به قوامه؛ كما قال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾(١).

ومن أسمائه الحسنى (الغني).

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٢).

وقال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾(٣).

وقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾(٤).

والدليل العقلي على اتصافه تعالى بهذه الصفة:

أنه تعالى لو كان محتاجًا إلى شيء لأدى ذلك إلى النقص في حقه تعالى والنقص في حق الله مستحيل.

---

(١) الرعد: ٣٣.

(٢) فاطر: ١٥.

(٣) الأنعام:

(٤) النحل: ٥٣.

ولو كان محتاجًا لما كان واجب الوجود، ولما كان قديمًا باقيًا لذاته؛ فالاحتياج يتنافى مع ذلك كله.

٥. الوحدانية

والمراد هنا: وحدة الذات والصفات والأفعال، بمعنى: عدم النظير فيهما؛ فمعنى وحدانية الله تعالى: عدم التعدد في الذات وفي الصفات وفي الأفعال.

أما **وحدة الذات** فمعناها أن الله تعالى واحد في ذاته، وهذا يتضمن شيئين:

١ـ لا تعدد في الآلهة فليس هناك ذات تشبه ذات الله في كمالها وجلالها.

٢ـ لا تركيب في الذات الإلهية فلا والد لله تعالى ولا ولد، ولا يحلُّ سبحانه في شيء ولا يتحد مع شيء ولا يتركب من أجزاء.

قال الله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١) وأما **وحدة الصفات** فمعناها أن الله تعالى واحد في صفاته، وهذا يتضمن أمرين:

١ـ لا تعدد في صفة من صفات الله كقدرتين وإرادتين وعلمين... إلخ؛ لأن كل صفة من صفات الله هي الكمال المطلق، والكمال المطلق لا يتعدد.

٢ـ لا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق فالله تعالى منزه عن مشابهة خلقه.

---

(١) المؤمنون: ٩١-٩٢.

وأما **وحدة الأفعال** بمعنى عدم التعدد في الأفعال فالمقصود به عدم وجود فعل لأحد غيره يشبه فعله تعالى فالله تعالى خالق لعبده وما عمل.

أدلة العلماء على صفة الوحدانية

الأدلة النقلية

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾(١).

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾(٢).

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾(٣).

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ ﴾(٤).

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾(٥).

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾(٦).

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) الإسراء: ٤٢.

(٤) المؤمنون: ٩١.

(٥) الشورى: ١١.

(٦) الإخلاص: ١-٤.

إذا أبطلنا التعدد في الذات بمعنى وجود إلهين فقد أبطلنا التعدد في الصفات بمعنى وجود صفة لغيره تشبه صفته تعالى وأبطلنا التعدد في الأفعال بمعنى وجود فعل لغيره يشبه فعله تعالى لأن كلًّا منهما راجع إلى تعدد الذات.

وبناء على ذلك فنحن في حاجة إلى ثلاثة أدلة: لنفي التعدد في الذات بمعنى عدم تركبها من أجزاء، ولنفي التعدد في الذات بمعنى عدم وجود إلهين، ولنفي تعدد الصفات بمعنى عدم وجود صفتين له سبحانه من نوع واحد.

أما **الدليل على نفي التعدد في الذات** بمعنى عدم تركبها من أجزاء؛ فهو أنه إذا تركبت ذاته تعالى من أجزاء لكان محتاجًا إلى أجزائه، والاحتياج دليل الحدوث، والحدوث عليه محال، ولكان محتاجًا إلى من رَكَّبه فلا يكون واجب الوجود.

وأما دليل **نفي التعدد في الذات** بمعنى عدم وجود إلهين فهو: لو فرض وجود إلهين كل منهما متصف بصفات الألوهية من العلم والإرادة والقدرة إلخ فإما أن تتفق إرادتهما أو تختلفا، وكل من الفرضين محال؛ فوجود إلهين محال.

وذلك أنه لو تعلقت إرادة أحدهما بخلق شيء مثلًا وتعلقت إرادة الآخر بعدم خلقه- وهذه حالة الاختلاف- فالاحتمالات العقلية ثلاثة:

(أ) إما أن ينفذ مرادهما معًا، وهو محال لأنه اجتماع للنقيضين[1] (الخلق وعدم الخلق)[1].

---

(1) النقيضان: هما الأمران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان مثل: الحركة والسكون، أو الوجود والعدم فلا يجتمعان في محل واحد في وقت واحد ولا يرتفعان معًا لأنه لا ثالث لهما ولا يمكن لمخلوق أن يخلو منهما معًا.

(ب) وإما ألا ينفذ مرادهما معًا، وهو محال؛ لأنه رفع للنقيضين[2] ويلزم عجزهما، والعجز على الإله محال.

(ج) وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر، وهذا يستلزم عجز من لم تنفذ إرادته، وبما أن الثاني مثله فهو عاجز أيضًا؛ لأن ما ثبت لأحد المثلين يثبت للآخر.

(د) وأما بطلان احتمال اتفاق إرادة الإلهين على شيء واحد مثل: إيجاد عمرو مثلًا فالاحتمالات العقلية أربعة:

١ - أن يوجداه معًا على سبيل الاستقلال في وقت واحد، وهو محال لأنه يؤدي إلى اجتماع مؤثرين على أثر واحد[3].

٢ - أن يوجداه معًا على سبيل الترتيب بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر، وهو محال لأنه تحصيل الحاصل.

٣- أن يوجداه على سبيل المعاونة فكل منهما يعاون زميله في إيجاده، وهو محال؛ لأنه يلزم عنه عجز كل منهما واحتياجه إلى الآخر.

٤ - أن يوجداه على سبيل التقسيم بأن يوجد أحدهما بعضه والآخر بعضه، وهو محال لأنه يلزم عنه عجز كل منهما فكل منهما لا يقدر على التصرف فيما تصرف فيه زميله.

---

(١) أي يكون الشيء مخلوقًا وغير مخلوق في نفس الوقت.

(٢) لأن الشيء إما أن يكون مخلوقًا وإما أن يكون غير مخلوق ولا واسطة بينهما.

(٣) مثال اجتماع مؤثرين على أثر واحد كمطرقتي الحداد فإنهما لا تقعان معًا.

وإذا بطلت هذه الاحتمالات سواء في حالة الاختلاف أو في الاتفاق انتفى القول بتعدد الذوات وثبتت الوحدة لله تعالى.

وأما **الدليل على نفي التعدد في الصفات** بمعنى عدم وجود صفتين لله تعالى من نوع واحد كقدرتين مثلًا فلأنه يلزم عليه أحد محالين:

(أ) إن كان الإيجاد بهما معًا يلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد.

(ب) وإن كان الإيجاد بإحداهما دون الأخرى يلزم عليه التعطيل للأخرى وكونها لا فائدة منها.

وأما عن وحدة الأفعال وأن الله خالق لعبده وما عمل فيستدل بما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] والتقدير في الآية: والله خلقكم وعملكم، وبهذا أخذ أهل السنة، واستدلوا بالنصوص من القرآن والسنة وبوجوه من المعقول، وقد علق البخاري على الآية بقوله: (وما يعمله ابن آدم ليس هو الصنم إنما هو الحركات والاكتساب فـ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، ومن أراد أن يجعل (ما) في قوله: (وما تعملون) موصولة[3] أراد أن يفر من الإقرار بعموم الخلق لله تعالى، وزعم أنه- بذلك- ينزه الله تعالى عن خلق الشر

(١) الصفات: ٩٦.

(٢)الزمر: ٦٢.

(٣) (ما) الموصولة هي بمعنى (الذي).

وغفلوا عن أنه سبحانه خلق إبليس وهو الشر كله، وعلمنا أن نعوذ به تعالى من شر ما خلق في (المعوذة)[1].

ويجرنا هذا الحديث إلى مبحث أفعال العباد.

أفعال العباد

المقصود بأفعال العباد ما يصدر عنهم من قول أو فعل ومن خير أو شر ومن طاعة أو معصية، والأفعال التي تصدر عن الإنسان نوعان:

١ـ **ما ليس له اختيار أو إرادة فيه**: كطوله وقصره ودقات قلبه ولون بشرته وطبيعة صوته وغيره؛ فهذه أمور تحدث بمحض قدرة الله الخالق وعلى وفق المشيئة الإلهية وحدها، ولا مدخل للإنسان فيها ولا مسئولية عليه بالنسبة لها، وتسمى هذه الأمور بالأفعال الاضطرارية.

٢ـ **الأفعال الاختيارية**:

وهي الأفعال التي تصدر عن الإنسان بإرادته الحرة واختياره التام كاختياره لطعامه وشرابه ولنومه ويقظته وكإرادته لقول معين أو عمل محدد.

فهذه الأفعال الاختيارية هو مسئول عنها ومحاسب عليها سواء أكانت خيرًا أم شرًّا.

والعلماء لم يختلفوا في أن الأفعال الخارجة عن إرادة الإنسان كدقات قلبه ورعشة اليد ليس مسئولًا عنها ولا يحاسب عليها.

---

(١) أي سورة (الفلق).

وإنما خلافهم في الأعمال الاختيارية التي تدخل في نطاق إرادة الإنسان وحرية تصرفه كقوله وفعله المعين.

والمشهور في هذه المسألة ثلاثة مذاهب:

الأول: مذهب الجبرية(١):

وهم الذين يقولون بأن الإنسان مسير وليس مخيَّرًا بمعنى أنه مُجبر على أفعاله وأقواله الاختيارية وأنه لا أثر لإرادته ولا لقدرته وإنما هو كالريشة في مهب الريح.

وهذا المذهب باطل لأنه يؤدي إلى إباحة فعل المحرمات ويؤدي إلى عدم التفرقة بين الطاعة والعصيان، ويؤدي كذلك إلى عدم الحاجة إلى التكاليف الشرعية، وما دام الأمر كذلك فهو غير مسئول عن أفعاله.

ويرد عليهم قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(٣).

---

(١) الجبرية:
فرقة تنسب إلى جهم بن صفوان أكبر الدعاة لهذا المهذب ولهذا تسمى الجهمية وشاعت أفكارهم في العصر الأموي، وقد حكم كثير من العلماء بكفرهم.

(٢) ص: ٢٨.

(٣) النساء: ١٢٣.

الثاني: مذهب المعتزلة[1]:

وهم يقولون: إن أفعال العبد قسمان: قسم لا اختيار له فيه أصلًا ولا تتعلق به إرادته، وهذا ليس مسئولًا عنه وغير مكلف به كدقات قلبه.

وقسم صادر عنه بإرادته واختياره كأكله وشربه وما يصدر عنه من أقوال وتصرفات، وهذا القسم هو أساس التكليف وعليه يترتب الثواب والعقاب، وهذه الأفعال الصادرة باختيار العبد وإرادته الحرة هي مخلوقة للعبد وحده.

الثالث: مذهب الأشاعرة (أهل السنة والجماعة).

أن الأفعال الاختيارية هي التي يخلقها الله في العبد ويكون له فيها اختيار ويخلق الله معها قدرة، وبيان ذلك: أن الله إذا أراد خلق فعل اختياري في العبد كالقيام والمشي مثلًا فإنه يخطره ببال العبد ويجعل لخلقه سببًا وهو اختياره لذلك الفعل أي إرادته له وميله إليه؛ فإذا اختاره وتوجه إليه خلقه الله فيه وخلق له معه قدرة، وهي صفة وجودية تتعلق بالفعل الاختياري أي تقترن به من غير أن يكون لها فيه تأثير، وتعلق القدرة الحادثة بالفعل الاختياري أي اقترانها به هو المسمى بالكسب ولأجله يضاف الفعل الاختياري إلى العبد وينسب إليه كما تضاف وتنسب إليه أعضاؤه كرأسه ويده مع أنها مخلوقة لله وحده؛ فالفعل الاختياري ينسب إلى الله خلقًا وللعبد كسبًا.

---

(١) المعتزلة:

فرقة نشأت في أوائل القرن الثاني الهجري في العصر الأموي بمدينة البصرة ولهم مبادئ تخالف أهل السنة.

ونلاحظ هنا أن إرادة الله تعالى تابعة لعلمه تعالى بـأن هـذا العبـد يريـد هـذا الفعل الإرادي فإنه بعلمه الأزلي يعلم إرادة العبد لهذا الفعل فيخلقه له بأن يخلق إرادة للعبد وقدرة ملازمة لهذه الإرادة .

ومذهب الإمام الأشعري هذا وافقه عليه جمهور أهل السنة، وهو الحق الذي يجب اعتقاده وترك ما خالفه من المذاهب.

واستدل أهل السنة على ما ذهبوا إليه بآيات منها قولـه تعـالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(1) والتقدير في الآية: والله خلقكم وعملكم.

ومنها قوله تعـالى- في خـلال الحـديث عـن التفـرد بالألوهيـة واسـتحقاق العبادة-: ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ ﴾(2) فيُحمل قوله: (كل شيء) على العموم، ويدخل فيه أعمال العباد.

قال ابن حجر العسقلاني- في فـتح البـاري-: إن هـذه الآيـة نـص في أن الله خالق كل شيء ومقدره، وهو أنص من قوله تعـالى: ﴿ ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(3) وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(4)، ومما استدل به قولـه تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى

---

(1) الصافات: 96.
(2) الأنعام: 102.
(3) الزمر: 62.
(4) الصافات: 96.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾(١) وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾(٢) ومعلوم أن أفعال العباد مما بين الأرض والسموات.

كذلك قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾(٣) يدل على أن ما سوى الله تعالى لا يخلق شيئًا وإلا لكان للكفار أن يقولوا: نحن خلقنا كثيرًا من الحركات والأوضاع والهيئات المحسوسة إن أريد بالرؤية في الآية الإبصار، وإن أريد بها الإعلام فجميع الأفعال الظاهرة والباطنة، وإذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾(٤) نجد كل ما يطلق عليه شيء حادث خلق الله، قال الحافظ الذهبي: (قد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه، وفعل العبد من جملة الحوادث فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن).

والنصوص قد صرحت بتفرد الله تعالى بالإيجاد والإمداد، وقررت شمول تعلق القدرة بكل ما هو كائن؛ انظر قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾(٥).

وقوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٦) فضرب الإنسان في الأرض ووقوف الطير في الهواء بإيجاده سبحانه مع أنه يدخل في

---

(١) السجدة: ٤.

(٢) ص: ٢٧.

(٣) لقمان: ١١.

(٤) طه: ٥٠.

(٥) يونس: ٢٢.

(٦) النحل: ٧٩.

إطار الأفعال الاختيارية كما يبدو، ولا أدل على هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾(١) إنه يقرر بوضوح أنه ليس للعباد إلا الكسب أما الخلق فله وحده إذ هو إبداع واختراع قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(٢).

وقد نقل الثقات- مثل البخاري ومسلم وغيرهما- أحاديث شريفة تؤكد خالقية الله تعالى لكل شيء؛ فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»(٣).

وروى جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان كثيرًا ما يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» فقيل له: يا رسول الله أتخاف علينا وقد آمنا بك وبما حدثت به؟ فقال: «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها هكذا**» وأشار إلى السبابة والوسطى يحركهما(٤).

وروى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعته**»(٥) وجاء في رواية: إن الله خالق -أو خلق- بدلًا من (صانع)(٦) وفي رواية أخرى: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»(٧).

---

(١) النجم: ٤٣.
(٢) الأعراف: ٥٤.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه البخاري والبيهقي.
(٦) الرواية عند الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي في التصحيح.
(٧) صحيح عن حذيفة وهذه رواية البخاري في كتاب (خلق أفعال العباد).

وغير ذلك من الأدلة الكثيرة.

ونريد أن نقول:

إن الإنسان له عمل وهذا هو الذي ورد به الكتاب والسنة، وتسمية هذا العمل خلقًا أو كسبًا فذلك مما لم يكلفنا الله به ولا يهمنا في شيء فلنعتقد أن للإنسان عملًا يُثاب عليه ويُعاقب ما دام مختارًا غير مكره، وما عدا ذلك فلا نخوض فيه.

وفي هذا المقام يقول الإمام جعفر الصادق: «إن الله تعالى أراد بنا شيئًا، وأراد منا شيئًا فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا».

وجاء رجل إلى سيدنا علي بن أبي طالب يقول: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر؛ قال: طريق دقيق لا تمشِ فيه، قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر؛ قال: بحر عميق لا تَخُض فيه؛ قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، قال: سر خفي لله لا تُفشه.

* * *

الفصل الثالث

صفات المعاني

صفات المعاني صفات موجودة وزائدة على الذات، وهي ليست عين الذات وليست غيرها؛ إذ لا تنفك ذات الله عن صفاته، وهي قديمة بقدمه سبحانه وتعالى كاملة بكماله سبحانه، أو نقول: هي كل صفة موجودة في نفسها قائمة بموجود أوجبت له حكمًا، وهي لا تقوم إلا بالذات، والمراد بالإيجاب- في كلامنا- التلازم، والمراد بالأحكام أي المعنوية بمعنى أن القدرة يلازمها كونه قادرًا والإرادة يلازمها كونه مريدًا إلخ.

فالمقصود أن الصفات والذات متلازمة لا الذات مؤثرة في الصفات ولا العكس، فلا يجوز أن يتوهم أن الذات أوجدت الصفات أو أن بعض الصفات أوجدت البعض الآخر فهذا باطل.

وصفات المعاني سبعة، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

١. صفة القدرة

القدرة لغة: القوة والاستطاعة

ويقصد بها علماء العقيدة: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

والمقصود بقولهم: (أزلية) أي قديمة لا أول لوجودها، وصفاته تعالى كلها كذلك وليس لله تعالى صفة حادثة.

والشيء الممكن هو الذي يتصور العقل وجوده مرة وعدمه مرة أخرى؛ فالشمس والقمر والإنسان والحيوان وكل شيء في هذا العالم هو ممكن عقلًا لأنه موجود بعد عدم؛ فكل ذلك واقع بقدرة الله؛ فالله تعالى هو الذي يمنح الأشياء وجودها أو يسلبه عنها، ويفهم من التعريف في قولهم: (على وفق الإرادة) أن ما خصصه الله بإرادته يبرزه بقدرته؛ فإذا سبق في علم الله إيجاد شيء ورجحت الإرادة وجوده في وقت بعينه أوجدته القدرة، وإذا سبق في علم الله إعدام شيء ورجحت الإرادة عدمه في وقت بعينه أعدمته القدرة، والقدرة لا تتعلق بالأمر الواجب لأنها لو تعلقت به لإيجاده يكون تحصيل حاصل ولو تعلقت به لإعدامه كان قلبًا للثوابت والحقائق؛ لأن الأمر الواجب لا يقبل العدم، كذلك لا تتعلق القدرة بالأمر المستحيل لأنها لو تعلقت به لإيجاده كان قلبًا للحقائق والثوابت لأنه غير قابل للوجود ولو تعلقت به لإعدامه كان تحصيل حاصل.

وقدرة الله تعالى تختلف عن قدرة العبد لأن قدرة العبد حادثة ومحدودة، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة، وإذا قلنا: فلان قادر؛ فعلى غير الإطلاق أي قادر على أشياء معينة، ولا يقال: قادر مطلقًا.

وكل أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه ويصح أن يوصف بالعجز من وجوه أخرى أما الله تعالى فهو الذي يستحيل عليه العجز من كل الوجوه.

الدليل العقلي على ثبوت القدرة له تعالى:

يقول الإمام الغزالي: «إن العالم محكم في صنعته مرتب في خلقه فلابد أن يكون صانعه قادرًا لأن من رأى ثوبًا من ديباج (حرير) حسن النسج والتأليف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعًا عن غريزة العقل منسلكًا في سبيل أهل الغباوة والجهل».

الأدلة القرآنية على صفة القدرة:

لم ترد لفظة (القدرة) في القرآن، ولكن ورد وصفه تعالى بأنه (قدير).

قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) والقدير: هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة بلا زيادة ولا نقصان.

ومن أسمائه تعالى (القادر) قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾(٢).

وورد أنه تعالى: (المقتدر) قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾(٣).

ومن حديث القرآن عن مظاهر قدرته تعالى نختار قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ

---

(١) الملك: ١.

(٢) المرسلات: ٢٣.

(٣) الكهف ٤٥.

وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(٢).

فالآيات الكريمة تدعونا إلى التأمل والتفكر في خلق الإبل ورفع السماء وخلق الجبال وسطح الأرض حتى ندرك أن لها خالقًا قادرًا على كل شيء هو الله عز وجل.

٢. صفة الإرادة

الإرادة في اللغة: تعني مطلق القصد، والإرادة والمشيئة بمعنى واحد.

ويعرفها علماء العقيدة بأنها صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى يُخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة.

---

(١) الروم ٢٠-٢٧.

(٢) الغاشية ١٧-٢٠.

والمقصود من التعريف أن إرادة الله صفة تخصيص فهي تخصص الممكن بالوجود أو العدم وبالصفات المعينة الخاصة به وبالزمن المحدد له وبالمكان المخصص له وبالجهة المحددة له وبالمقدار المعين الذي سيوجد عليه.

وهذا ينطبق على كل ما وجد في العالم من مخلوقات وما يوجد الآن وما سيوجد بعد ذلك.

فالإرادة الإلهية هي التي ترجح الاحتمال الذي سيوجد عليه المخلوق من بين سائر الاحتمالات الأخرى التي يتصور أن يوجد عليها من الأمور المتقابلة.

والمراد بالأمور المتقابلة: الشيء وضده كالوجود والعدم أو العلم والجهل أو الطول والقصر أو البياض والسواد أو الغنى والفقر. إلخ؛ فالله تعالى بإرادته يختار لفلان من الناس- مثلًا- الوجود بدل العدم وأن يكون في مدينة معينة بدلًا من غيرها وأن يكون طويلًا بدل أن يكون قصيرًا وهكذا؛ فهذا هو معنى الإرادة.

ولا تتعلق الإرادة بالأمر الواجب أو الأمر الممتنع، ومعنى الإرادة الإلهية يختلف عن معنى إرادة البشر؛ فإرادة الله تعالى قديمة وإرادة البشر حادثة كما أن إرادته تعالى وفعله متلازمان بمعنى أنه تعالى إذا أراد أن يفعل فَعَل وما فَعَله فقد أراده بخلاف العبد فإنه يريد ما لا يفعل وقد يفعل ما لا يريده؛ فالله وحده هو الفعَّال لما يريد.

إرادته تعالى تشمل الخير والشر:

مذهب أهل السنة: أن إرادة الله عامة تشمل الخير والشر والطاعة والمعصية.

والدليل على ذلك:

١ – أن الآيات القرآنية صرحت بذلك كقوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(١).

وقوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾(٤).

٢ – أن الشر موجود في العالم فإذا لم يكن الله هو الذي أراد وقوعه، فمن الذي أراد وقوعه وليس هناك إله غير الله؟ فإذا لم يكن الله هو الذي أراد وقوعه يلزم أن يكون وجود الشر في العالم بطريق القسر والإكراه بالنسبة لله وأنه عاجز عن دفعه، وهذا محال.

ويُنسب الخير إلى الله والشر إلى الإنسان من باب الأدب؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ

---

(١) الأنبياء: ٣٥.

(٢) الأنعام: ١٧.

(٣) الفتح: ١١.

(٤) الأنعام: ١٢٥.

عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾(١)

فقوله تعالى: ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هذا هو الحق، ولكن من حيث الأدب مع الله فإننا ننسب الخير إلى الله والشر إلى النفس، وهذا يظهر من الآية التي بعدها: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾(٢).

وكذلك تأدبت الجن حين تحدثت عن الله؛ فقال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾(٣) فمع الشر قال (أُريد) ببناء الفعل للمجهول، ومع الخير والرشد ذكر الفاعل فقال: (أراد بهم ربهم رشدًا).

ولكن الشر الذي خلقه الله تعالى هو الشر الجزئي وهو الذي في بعض وجوهه شر وفي الأخرى خير كنزول الأمطار التي تهدم البيوت ولكن فيها حياة للناس والحيوان والنبات أما الشر المحض الذي لا خير فيه مطلقًا فلا يخلقه الله لأنه عبث والله تعالى منزه عنه.

الدليل العقلي على صفة الإرادة:

١ـ الإرادة صفة كمال يليق بذات الله، وضدها وهو القهر والإكراه صفة نقص يتنزه عنها الله تعالى؛ فلو لم يكن الله تعالى مريدًا لكان مكرهًا ومقهورًا،

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) الجن: ١٠.

والله تعالى أعظم من كل شيء فلا يكرهه أحد، والإكراه دليل العجز، والعجز على الله مستحيل لأنه ثبتت له صفة القدرة.

٢ـ إذا تأملنا المخلوقات نجد أن بعضها متقدم وبعضها متأخر، ويجوز عقلًا تقدم ما هو متأخر وتأخر ما هو متقدم؛ فاختصاص بعضها بالتقدم وبعضها بالتأخر لابد أن يكون بتخصيص مخصص وإرادة فاعل مختار كما أننا نجد مظاهر التنوع واضحة في الكائنات، والتنوع يدل على الإرادة الحرة.

الدليل النقلي:

من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾[١].

﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾[٢].

﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾[٣].

ومن السنة المطهرة:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت ارحمني إن شئت ارزقني إن شئت وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له**»[٤].

---

(١) البروج: ١٦.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) الشورى: ٤٩-٥٠.

(٤) رواه البخاري.

أنواع الإرادة:

إرادته سبحانه وتعالى نوعان:

١- إرادة كونية قدرية: وهي إرادة قضاء وتقدير، وتتناول جميع المخلوقات وتحيط في الأزل بكل الحوادث وما فيها من طاعة ومعصية وإيمان وكفر ومنع وعطاء؛ قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[1].

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3] وهذه الإرادة – عند أهل السنة – تابعة للعلم في تعلقها إذ تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه على وفق العلم وليست تابعة للأمر الشرعي؛ فالإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون هذا المراد محبوبًا لله؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[4] فنفهم من الآية أنه تعالى شاء اقتتالهم وإن كان الاقتتال بغير مبرر شرعي؛ فإنه – وإن أراده إرادة كونية – لا يرضاه ولا يحبه؛ إذ فيه مخالفة للنهي الشرعي عن الاقتتال بغير حق.

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) آل عمران: ١٧٦.

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) البقرة: ٢٥٣.

والقرآن الكريم ورد فيه جواز أن يأمر الله بما لا يريد فقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام ولم يُرِدْه، وبصفة عامة لا يتخلف شيء أراده الله تعالى أن يكون كما لا يكون شيء لم يرد الله تعالى أن يكون، وهذه الإرادة متعلقة بخلقه وأمره الكوني وبما يحب ويكره، ولا يترتب على تعلقها تكليف ولا ثواب ولا عقاب.

وكل أفعال الله تعالى- ما خفي من حكمتها وما ظهر- تابع للإرادة الكونية؛ فالأفعال أثر لقدرة الله، والقدرة لا تبرز إلا ما خصصته الإرادة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1] وهو سبحانه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2] ولا يخرج فعل من أفعال الله عن إطار الحكمة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[3].

٢ـ إرادة دينية شرعية: وهي التي تتضمن المحبة والرضا.

كقوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) البروج: ١٦.

(٣) المائدة: ١.

(٤) التوبة: ١١٩.

(٥) المائدة: ١.

يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾(١).

فالمقصود بهذه الإرادة ما يرضاه الله لعباده من التشريعات وما كلَّفهم به.

والفرق بين الإرادتين: أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبًا لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوبًا لله ولا يلزم وقوعه.

وأمر التشريع يقع في دائرة اختيار المأمور، والعاصون المتكبرون يخالفونه، والطائعون يسارعون إلى قبوله والامتثال له.

الإرادة والأمر:

الإرادة غير الأمر عند أهل السنة فليست نفس الأمر ولا مستلزمة له؛ فالله تعالى قد يأمر بالشيء ويريد وقوعه كالإيمان من الأنبياء، وإيمان من علم منهم الإيمان كأبي بكر، وقد لا يريد الشيء ولا يأمر به كالكفر من الأنبياء، وقد يريد الشيء ولا يأمر به كالكفر الواقع ممن علم الله عدم إيمانهم كأبي جهل وغيره، وقد يأمر بالشيء ولا يريد وقوعه كالإيمان من أبي جهل وغيره ممن علم الله تعالى عدم إيمانهم.

الإرادة والرضا:

الرضا معناه: استحسان الشيء ومحبته، ومعناه مختلف عن معنى الإرادة:

١ـ فقد يريد الله شيئًا ويرضى عنه: كإيمان المؤمنين، وصدقة المتصدقين.

---

(١) النساء: ٢٦-٢٨.

٢ـ وقد يريد الله شيئًا ولا يرضى عنه ولا يحبه كمعاصي المؤمنين وكفر الكفار؛ فهي بإرادة الله تعالى ومع ذلك لا يحبها ولا يرضى عنها؛ كما قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(١) وإن كان الكفر واقعًا بمشيئته تعالى.

وأخبر في آيات كثيرة من القرآن أنه لا يحب المعتدين ولا الظالمين ولا الكافرين ولا المفسدين ولا المستكبرين.

وقد يقال: كيف يريد الله أمرًا ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يريد الله الشيء ويكرهه في وقت واحد؟

فالإجابة: أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره.

١ـ فالمراد لنفسه: محبوب لذاته ولما فيه من الخير؛ فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

٢ـ والمراد لغيره: قد لا يكون مقصودًا للمريد ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته مراد له من حيث إيصاله إلى مراده فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما.

وذلك مثل الدواء الكريه إذا علم المريض أن فيه شفاءه وكقطع العضو المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده.

فهو سبحانه يكره الشيء ومع ذلك يريده لأنه سبب إلى أمر هو أحب إليه.

---

(١) الزمر: ٧.

والمثال على ذلك خلق إبليس فقد أراد الله خلقه وهو أصـل الـشرور ولكنـه وسيلة إلى محبوبات كثيرة لله تعالى تترتب على خلقـه، ووجـود هـذه المحبوبـات أحب إليه من عدمها.

فمن ذلك أن تظهر للعباد قدرة الرب على خلق المتـضادات؛ فقـد خلـق شر الخلق إبليس كما خلق خير الخلق سيدنا محمدًا كما خلـق الـداء والـدواء والحيـاة والموت وغيرهما؛ فهذا من الدلائل على كمال قدرة الله.

ومن ذلك ظهور آثار أسماء الله القهرية كالقهـار والمنـتقم والـشديد العقـاب وغيرها فهذه الأسماء تدل على كمال الله ولابد من وجود ما تتعلـق بـه ولـو كـان الخلق جميعًا مطيعين منقادين لأوامر الله لم تظهر آثار هذه الأسماء.

وكذلك حصول أنواع مختلفة من العبودية لله لولا خلق إبلـيس لما حـصلت مثل عبودية الجهاد في سبيل الله ولو كـان النـاس كلهـم مـؤمنين لتعطلـت هـذه العبودية وتوابعها من موالاة الله والمعاداة فيه.

ومثل عبودية الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر وعبوديـة الـصبر ومخالفـة الهوى وتقديم محبوبات الله على محبوبات النفس وغير ذلك.

وكذلك كل فعل لله تعالى يتضمن حكمًا كثيرة قد تظهر لنا وقد تخفـى علينـا؛ فسبحان العليم الحكيم الخبير.

٣. صفة العلم:

تعريفها: هي صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى بها تنكشف له جميع الأمور سواء كانت واجبة أو جائزة أو مستحيلة، وسواء كانت ماضية أو حاضرة أو مستقبلة انكشافًا تامًّا لا يسبقه خفاء أو جهل.

فالله تعالى يعلم الواجبات فهو يعلم ذاته وصفاته ويعلم الجائزات وهي المخلوقات بل يعلم المستحيل كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(١) فهو يعلم أن الكفار لا يردون إلى الحياة الدنيا مرة أخرى ولكن أخبر أنهم لو ردوا لعادوا إلى الكفر.

والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون، وعلمه تعالى لا يتغير بتغير العلوم بمعنى أن الله يعلم الشيء الموجود على ما هو عليه فإذا تغير الموجود وحصل له تطور لم يحصل لله علم جديد غير العلم القديم لأن تغير العلم لا يليق به تعالى لأنه يعلم كل شيء قبل وجوده وحال وجوده بدرجة واحدة؛ إذ الماضي والحاضر والمستقبل إنما هو في أعراف البشر.

والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ فهو يعلم الأشياء أزلًا إجمالًا وتفصيلًا.

---

(١) الأنعام: ٢٨.

وقد يوصف الإنسان بالعلم فنقول: فلان عـالِم، ولكـن علـم الله غـير علـم الإنسان؛ فعلم الإنـسان حـادث مـستفاد مـن الحـواس أو مـن التفكـير العقـلي والاطلاع أما علم الله فهو قديم أزلي.

وعلم الإنسان محدود وعلم الله كامل محيط بكل شيء إحاطة تامة.

وعلم الإنسان قد يعرض له النسيان أو الزوال وعلم الله ليس كذلك.

وعلم الإنسان بشيء قد يشغله عن علمه بغيره، والله لا يشغله علم شيء عن علم شيء آخر.

الدليل على صفة العلم الإلهي:

الدليل العقلي:

قد ثبت أن الله تعالى خالق للعالم ولم يـدَّعِ أحـد أنـه خلـق شـيئًا فهـو خـالق للكون خلقًا متقنًا محكـمًا يـدل عـلى كـمال حكمتـه وقدرتـه، ويكفـي أن يتأمـل الإنسان في نفسه وفيما حولـه ليـدرك ذلـك، وثبـت أن الله خلـق العـالم بقـصده واختياره وإرادته وهذا يدل على أنه عالم؛ فمن المستحيل أن يتوجه قصده وإرادته إلى شيء لا يكون معلومًا له.

الدليل النقلي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(١) وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾(٢).

وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٥) فالآية تنكر على الذين يعترفون بخلق الله للعالم ثم ينكرون علمه بالأشياء؛ فمن المنطقي أن يعلم الخالق ما خلقه.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾(٦).

---

(١) المجادلة: ٧.
(٢) غافر: ١٩.
(٣) الأنعام: ٥٩.
(٤) سبأ: ٣.
(٥) الملك: ١٤.
(٦) الرعد: ٨-١٠.

٤. صفة الحياة:

تعريفها: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تصحح اتصافه بالعلم والإرادة والقدرة وغيرها من الصفات التي تستلزم حياة المتصف بها.

فصفة الحياة تقتضي صحة اتصاف الله بباقي الصفات، أي أن الاتصاف بالحياة شرط للاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم وغيرها من الصفات؛ فلا يُتصور أن يكون الشيء موصوفًا بأنه قادر أو مريد أو عالم وهو غير حي، فصفة الحياة تصحح الوصف بهذه الصفات.

وحياة الله تعالى غير مشابهة لحياة مخلوقاته:

فحياة المخلوقين حادثة وحياته تعالى قديمة، وحياته لا تقوم على روح ونفس كالإنسان ونحن لا نعرف عن حياة الله تعالى شيئًا أكثر من أنها صفة ثابتة له تعالى، وذلك ليس بغريب فإننا لا نعرف عن حقيقة حياة النبات شيئًا سوى أنه حي وينمو ولا نعرف عن حياة الحيوان إلا أنه نامٍ متحرك.

فعلينا أن نؤمن بهذه الصفة له تعالى مع تنزيهه عز وجل عن مشابهة الخلق فيها ونترك ما بعد ذلك إلى علمه سبحانه وتعالى.

الدليل العقلي:

الله تعالى قد ثبت اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم، وكل من كان كذلك تجب له الحياة فالله تجب له الحياة.

فالله تعالى إذا لم يكن حيًّا ما صدر منه الوجود لأن الميت لا علم لـه ولا إرادة وبالتالي لما كان هذا الوجود.

وهو الذي منحنا الحياة فكيف لا يكون حيًّا؟ إن فاقد الشيء لا يعطيه.

الدليل النقلي:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾(٣).

وحياته تعالى لا يلحقها فناء ولا عدم ولا موت.

٥. صفة السمع:

تعريفها: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى ينكشف بها جميع الموجـودات انكشافًا تامًّا.

فهي صفة أزلية تتعلق بالمسموعات أو بالموجودات فتدرك إدراكًا تامًّا لا على طريق التخيل ولا على طريق حاسة السمع ووصول هواء كطريـق الـسمع عنـد الإنسان فنفوِّض حقيقتها لله تعالى.

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) الفرقان: ٥٨.

(٣) طه ١١١.

إن الله تعالى يسمع كل شيء في هذا الوجود.

إنه يسمع دعوات عباده ولا يشغله نداء عن نداء ويسمع دبيب النمل وزقزقة العصافير وأمواج البحار.

الدليل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى

الدليل العقلي:

أن الله تعالى له الكمال المطلق فلو لم يتصف بالسمع لاتصف بضده وهو الصمم، والصمم نقص، والنقص على الإله مستحيل.

الدليل النقلي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾(1).

وعندما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون قال لهما: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(2).

وقال عن المشركين الذي يُعادون النبي ﷺ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(3).

---

(1) المجادلة: ١.

(2) طه: ٤٦.

(3) الزخرف: ٨٠.

ولما رأى الرسول ﷺ أصحابه يرفعون أصواتهم بالتكبير أشفق عليهم واقترب منهم وقال: «**اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا**»(١).

اربعوا على أنفسكم: أي ترفقوا بها.

٦. صفة البصر:

تعريفها: هي صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها له جميع المبصرات الموجودة، وهي ليست بجارحة (أي عضو) وحاسة كبصر المخلوقات؛ لأن الله منزه عن ذلك.

الدليل على اتصاف الله بهذه الصفة

الدليل العقلي:

البصر صفة من صفات الكمال، والله متصف بكل كمال، وضده العمى وهو من صفات النقص، والله منزه عن كل نقص؛ فنثبت لله تعالى صفة البصر.

وعندما كان إبراهيم عليه السلام يجادل أباه وينصحه بترك عبادة الأصنام ويأمره بعبادة الله خالقه قال له: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾(٢).

---

(١) مسند أحمد.

(٢) مريم: ٤٢.

وعندما كان يناقش عبدة الأصنام: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾(١).

فالأصنام لا تسمع ولا تُبصر؛ فتجردت عن صفات الكمال فلا تستحق العبادة.

فيدل ذلك على أن الإنسان بفطرته السليمة يدرك أن من شأن الإله - الذي خلقه وأعطاه السمع والبصر - أن يكون سميعًا يجيب من دعاه وبصيرًا يرى من يعبده.

الدليل النقلي:

قال الله تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾(٤).

---

(١) الشعراء: ٧٢، ٧٣.

(٢) طه: ٤٣-٤٦.

(٣) الملك: ١٩.

(٤) العلق: ٩-١٤.

وقال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

٧. صفة الكلام:

تعريفها: هي صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تدل على جميع الواجبات والمستحيلات والممكنات؛ فصفة الكلام شيء موجود منذ الأزل بلا بداية، وهي قائمة بذات الله تعالى لا تنفصل عنه.

يقول بعض العلماء: «مفهوم صفة الكلام الدلالة فهي تدل على جميع الواجبات العقلية والمستحيلات العقلية والممكنات العقلية؛ فالله تعالى يخبرنا عن ذاته المقدسة بأنه واحد قادر موصوف بكل كمال، ويخبرنا بأنه لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، ويخبرنا عن الكون والكائنات في الدنيا والآخرة ويخبرنا عن الطاعات لنعملها وعن المعاصي لنتجنبها».

وكلام الله تعالى ليس بحروف لأن الحروف حادثة.

وكلام الله ليس بحرف ولا بصوت وهو المعتمد عند أهل السنة بل هو الحق الذي لا شك فيه.

قال الإمام النووي: «والكلام صفة ثابتة لله تعالى لا يشبه كلام غيره».

(١) متفق عليه.

الدليل على صفة الكلام الإلهي

الدليل العقلي:

الله تعالى يجب له الكمال، والكلام من صفات الكمال، والدليل على أن الكلام كمال قول إبراهيم عليه السلام لعُبَّاد الأصنام: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾(١).

ومما يدل أيضًا على أنه صفة كمال لا يمكن أن يخلو عنها الإله الحق أنه رُدَّ على عُبَّاد العجل بأنه لا يتكلم، وهذا نقص فلا يصلح أن يكون إلهًا؛ قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾(٢) وقال: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾(٣).

الدليل النقلي:

أن الله تعالى وصف نفسه بالكلام في مواضع كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٤)، وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾(٥)،

---

(١) الأنبياء: ٦٢- ٦٣

(٢) الأعراف: ١٤٨.

(٣) طه: ٨٩.

(٤) النساء: ١٦٤.

(٥) الأعراف: ١٤٣.

وقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾(1) وقوله: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾(3).

وقوله: ﴿ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾(4).

وهناك أدلة كثيرة على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وعدم تكليمه لأهـل النـار كما في قوله:

﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾(5) وقولـه: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾(6) وقد قال جابر بن عبـدالله ﷺ: «كـان رسـول الله ﷺ يعـرض نفـسه عـلى النـاس في الموقف؛ فقال: «**هل من رجل يحملني إلى قومه فـإن قريـشًا قـد منعـوني أن أبلـغ كلام ربي عز وجل**»»(7).

وكان ﷺ يقول: «**يا قوم لم تؤذونني أن أبلغ كلام ربي**» أي: القرآن الكريم.

* * *

---

(1) البقرة: ٢٥٣.

(2) البقرة: ٧٥.

(3) التوبة: ٦.

(4) لقمان: ٢٧.

(5) يس: ٥٨.

(6) البقرة: ١٧٤.

(7) رواه أحمد ورجاله ثقات.

الفصل الرابع

ما يستحيل في حق الله تعالى

علمنا فيما سبق ما يجب لله تعالى إجمالًا وتفصيلًا، وعكس الواجب يكون مستحيلًا؛ فالمستحيل في حق الله تعالى على وجه الإجمال كل نقص.

فكل ما قدره العقل من نقص يستحيل على الله تعالى فيجب علينا نفيه على العموم.

والمستحيل في حق الله تعالى تفصيلًا هو ضد كل صفة واجبة له:

العدم: وهو ضد الوجود، وهو عبارة عن لا شيء فالعدم مستحيل عليه تعالى.

الحدوث: وهو ضد القدم، والمراد بالحدوث هو التجدد بعد العدم فكل من لم يكن ثم كان فهو الحادث.

الفناء:هو ضد البقاء، فطرو العدم مستحيل على الله تعالى، والمراد بطرو العدم الانقضاء بعد الوجود.

المشابهة للحوادث: وهي ضد المخالفة للحوادث الواجبة لله تعالى، والمشابهة عبارة عن المشابهة للحوادث في الذات والصفات والأفعال.

فيستحيل على الله تعالى أن تأخذ ذاته قدرًا من الفراغ ويستحيل عليه أن يكون جسمًا ويستحيل أن يكون في جهة بأن يكون فوق العرش مثلًا أو تحته أو يمينه أو شماله أو أمامه أو خلفه.

ويستحيل على الله تعالى أن تكون له جهة في نفسه بأن يكون له يمين أو شمال أو فوق أو تحت أو قُدَّام أو خلف.

ويستحيل على الله أن يتقيد بمكان، ونفي المكان يستلزم نفي الحدود عن ذات الله تعالى كما نص عليه أهل السنة، فالله تعالى ليس لذاته حدود ونهايات لأن هذا يستلزم كون الذات جسمًا.

ويستحيل على الله زمان فلا يمر عليه زمان وإلا ماثل الحوادث.

ويستحيل أن تتصف ذاته تعالى بالصفات الحادثة مثل الحركة والسكون وغيرهما لأن حدوث صفة يستلزم حدوث الموصوف.

ويستحيل أن تتصف ذاته سبحانه بالصغر أو الكبر لأن الصغر والكبر من خواص الأجزاء، والله تعالى منزه عن هذا.

ويستحيل على الله تعالى أن يتصف بالأغراض في الأفعال أو الأحكام (والغرض هو الأمر الذي يبعث صاحبه على فعل أو حكم) فيستحيل على الله تعالى أن يتصف بغرض يبعثه على فعل من أفعاله كإيجاده لشخص معين أو على حكم من أحكامه كإيجابه للصلاة وتحريمه للكذب، فيستحيل على الله تعالى أن يتصف بالباعث لمراعاة المصالح ودفع المفاسد لأن ذلك بالنسبة إلى ذاته مستحيل إذ لا يحتاج إلى جلب منفعة ولا دفع ضرر لأنه هو الغني عن كل ما سواه، وأفعاله تعالى وأحكامه وإن كانت منزهة عن الغرض لكن لا تخلو عن حكمة، وإن لم تصل إليها عقولنا لأنها لو لم تكن لحكمة لكانت عبثًا، والعبث محال على الله.

يقول بعض العلماء: «إن السر في تجنب المسلم أن يقول: إن أفعال الله معللة بالأغراض والبواعث مع عدم تجنبه القول بأنها لحكمة هو أن في الأغراض عوارض حاكمة على الإرادة، والله حاكم لا يحكمه شيء وفاعل لا ينفعل لشيء، وتوضيح ذلك: أن الإرادة لا تتوجه ولا تتوقف إلا بما يوجهها من حالات نفسية فهي تابعة في حالتيها لتلك الحالات مقهورة محكومة لبواعثها وربما تجاذبها خاطران: أحدهما باعث على العمل والثاني مثبط عنه كخوف الخطر يمنع من الانطلاق للإغاثة وخوف البرد يقاوم حركة النهوض من الفراش في البلاد الباردة، وتنتهي المغالبة برجحان أحدهما على الآخر أما إرادة الله فلا تحكمها البواعث».

ويستحيل عليه ألا يكون قائمًا بنفسه: بأن يكون صفة قائمة بمحل أو تحتاج إلى مخصص فيستحيل على الله أن يحل بذات كما تحل الصفة في موصوفها كما تدعي النصارى فقد قالوا بحلول الإله بذات عيسى، ومثل الحلول الاتحاد، وهو أن يصير الشيئين شيئًا واحدًا كما قيل في الولي؛ فالقول بالحلول والاتحاد كفر.

ويستحيل على الله تعالى أن يحتاج إلى مخصص (أي موجد ومؤثر) فالله تعالى لا يحتاج لا في ذاته ولا في صفاته إلى مخصص يخصصها على ما هي عليه لأن ذلك يستلزم الحدوث، والحدوث على الله محال.

ويستحيل ألا يكون واحدًا فيجب أن يكون الله واحدًا لا مركبًا في ذاته أو يكون له مماثل أو مشابه في ذاته أو في صفاته، فيستحيل أن يكون لأحد من مخلوقاته صفات كصفات الله؛ لأن الله لا شريك له في صفاته.

ويستحيل على الله تعالى أن يكون معه شريك في الأفعال بأن يكون غيره يفعل كفعله، ويترتب على هذا أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في الأسباب العادية وغيرها لا بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها؛ فلا تأثير للأسباب العادية في مسبباتها فلا تأثير للنار في الحرق ولا للطعام في الشبع وهكذا؛ فمن اعتقد أن شيئًا منها يؤثر بنفسه فلا خلاف في كفره، ومن اعتقد أن شيئًا منها يؤثر بقوة جعلها الله فيه فهو فاسق ولا يكفر كمن اعتقد أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه.

العجز عن الممكنات: يستحيل على الله تعالى العجز عن الممكن، ويستحيل إيجاد شيء ما في العالم مع عدم إرادته له تعالى.

وحقيقة العجز: تعذر إيجاد ما يمكن إيجاده وإعدام ما يمكن إعدامه، وهو ضد القدرة، والقدرة واجبة لله تعالى والعجز مستحيل على الله.

وأما إيجاد شيء من العالم مع كراهته لوجوده فهو مستحيل لأن الكراهة ضد الإرادة، والإرادة واجبة لله تعالى والكراهة مستحيلة على الله، والمراد بها هي الكراهة العقلية التي هي عدم الإرادة، وأما الكراهة الشرعية- التي سبق الحديث عنها- فلا تنافي الإيجاد.

ويستحيل على الله تعالى الذهول والغفلة فلا يُوجِد الله شيئًا من العالم مع عدم علمه به أو غيابه عنه بعد العلم به.

ويستحيل الجهل عليه تعالى: وهو ضد العلم، ويستحيل عليه أيضًا ما في معنى الجهل كالشك والظن والوهم والنسيان.

ويستحيل عليه تعالى الموت: وهو ضد الحياة.

ويستحيل عليه تعالى الصمم: ضد السمع، ويستحيل عليه كذلك كونه يسمع الأصوات دون الذوات وكونه يسمع بآذان وغير ذلك.

ويستحيل عليه تعالى العمى: ضد البصر، وكذا يستحيل عليه ما في معناه من الأجفان والقرنية وغير ذلك.

ويستحيل عليه تعالى البكم: ضد الكلام، وكذا يستحيل عليه أن يكون كلامه بحروف وأصوات.

الدليل على استحالة هذه الصفات:

١- أن الله تعالى يجب اتصافه بصفات الكمال- وقد أقمنا الأدلة على ذلك- فيستحيل عليه سبحانه ضدها؛ لأن الضدين لا يجتمعان ومتى ثبت أحدهما انتفى الآخر.

٢- لو اتصف الله تعالى بصفات العدم والعجز والحدوث والفناء وغيرها لكان في نهاية النقص والفقر والاحتياج فلا يكون إلهًا قادرًا خالقًا، والوصف بالنقص باطل محال في حق الله تعالى؛ فنظرة واحدة في مخلوقاته تثبت بلا شك قدرته وحكمته وعظمته.

٣- قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٦).

وغيرها من الآيات كثير.

---

(١) المؤمنون: ٩١.

(٢) الإسراء: ١١١.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) القيامة: ٣-٤.

(٥) الملك: ١٤.

(٦) الأنعام: ١٠٣.

وفي الحديث القدسي عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا.**

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط[1] إذا أدخل البحر.

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[2].

* * *

(١) المخيط: (الإبرة).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

الفصل الخامس

الجائز في حق الله تعالى

جائز في حقه تعالى فعل كل ممكن وتركه فلا يجب عليه شيء من الممكنات كما لا يستحيل.

والممكن عند علماء التوحيد: كل ما حكم العقل باستواء وجوده وعدمه، ويسمى جائزًا، ومعنى فعل الممكن إيجاد الله له، ومعنى تركه إبقاؤه في العدم.

وكل ممكن يجوز عقلًا في حق الله تعالى فعله أو تركه، ولا يجب عليه عقلًا فعل شيء منه ولا يستحيل عليه عقلًا ترك شيء منه بل يفعل منه ما شاء؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قال الشيخ محمد الهاشمي: «والجائز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه، وأفراده كثيرة فمنها الخلق والرزق والإماتة والإحياء والصحة والإسقام، وبعثه الرسل عليهم الصلاة والسلام والثواب والعقاب، والقضاء والقدر، وفعل الصلاح والأصلح، ورؤية المؤمنين الله تعالى بلا كيف ولا انحصار، وإيجاد تأثيره تعالى عند الأسباب العادية لا بها ولا بقوة أودعها الله فيها ولا هي سبب عقلي بحيث لا يصح فيها التخلف، وإنما المولى تبارك وتعالى أجرى العادة أن يخلق عند تلك الأسباب لا بها أو بها عادة مع صحة التخلف كإيجاد تأثيره تعالى عند قدرة العبد الحادثة وإيجاد الاحتراق عند النار، والضوء عند الشمس والنور عند

القمر والمصباح، والشبع عند الأكل، والجوع عند عدم الأكل، والري عند شرب الماء، والستر والوقاية عند لبس الثوب، والقطع عند السكين، والشفاء عند التداوي».

* * *

الفصل السادس

لا واجب على الله تعالى

الواجب للشيء غير الواجب على شيء

فالواجب لله تعالى يدخل في باب الكمال وقد عرفنا- فيما سبق- أنه يجب لله تعالى كل كمال يليق بذاته سبحانه.

والواجب على الله يدخل في باب التكليف وهو مجال باطل؛ لأن الله تعالى أكبر من كل شيء ولا يكرهه أحد.

وقد ذهب المعتزلة إلى وجوب الصلاح والأصلح عليه سبحانه، ومضمون ذلك: أنه إذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر فساد وجب على الله تعالى أن يفعل الصلاح منهما دون الفساد، وإذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح منه وجب على الله تعالى أن يفعل الأصلح منهما دون الصلاح؛ فالصلاح والفساد كالإيمان في مقابلة الكفر، والصلاح والأصلح ككون العبد في أول مراتب الجنة في مقابلة أعلاها.

كما أوجبوا على الله تعذيب العاصي وإثابة الطائع، وبنوا ذلك على قاعدتهم من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية التي منها الطاعة والمعصية.

وأما أهل السنة فقاعدتهم: أن الله تعالى هو الخالق للأفعال كلها ومنها الطاعة والمعصية، وبنوا على ذلك أن الإثابة بالفضل والتعذيب بالعدل وليسا

بواجبين عليه تعالى؛ فهو سبحانه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب، وإنما هما علامتان عاديتان تدلان على الثواب لمن أطاع أو العقاب لمن عصى حتى لو عذب الله المطيع وأثاب العاصي بأن جعل الطاعة علامة على العذاب والمعصية علامة على الثواب لكان ذلك منه حسنًا لأنه سبحانه لا يُسأل عما يفعل، وهذا كله بحسب العقل، وأما بحسب الشرع فلا يجوز خُلْف الوعد لأنه سفه وهو يستحيل على الله تعالى، وأما الوعيد والعقاب فهو في حق الكفار واقع حتمًا؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾(1) وأما في حق المؤمنين فواقع في بعضهم لأنه وردت الأخبار بذلك ثم يخرجون من النار فلا يبقى فيها مُوَحِّد لله فتظل لأصحابها الفجرة والكفار.

ولو وجب على الله فعل الأصلح لما استوجب عليه الشكر لأنه سيكون مؤديًا للواجب عليه كمن يؤدي دَيْنًا لزمه مع أنه سبحانه قد طلب من عباده أن يشكروه على ما تفضل به عليهم، ومما يبطل مذهبهم أيضًا أنه يلزم على قولهم هذا أن تكون إماتة الأنبياء والعلماء الصالحين بعد فترة من حياتهم مع تبقية إبليس وذريته من الضالين المضلين إلى يوم القيامة أصلح عندهم لعباد الله.

فقول المعتزلة في مذهبهم: إن الصلاح واجب باطل.

---

(1) النساء: ٤٨.

فالخلاصة: أن أهل السنة ذهبوا إلى أنه ليس عليه تعالى واجب من فعل أو ترك؛ لأنه تعالى فاعل بالاختيار، وأما الآيات الدالة على الوجوب عليه تعالى فمحمولة على أن المراد بها الوعد، ومن كرمه سبحانه الوفاء بالوعد.

قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[1] تفضلًا منه سبحانه كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾[2] وكذلك الأحاديث الدالة على ذلك.

* * *

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) هود: ٦.

الفصل السابع

أسماء الله تعالى

يجب على المكلَّف أن يعتقد أن أسماء الله قديمة وكذا صفات ذاته، وأسماؤه قديمة لا باعتبار ذاتها إذ هي ألفاظ، والألفاظ حادثة قطعًا وإنما باعتبار التسمية بها، والمراد بالتسمية القديمة وهي دلالة الكلام أزلًا على معاني الأسماء من غير تبعيض ولا تجزئة في الكلام؛ فالله- تعالى- لم يزل مسمى بأسماء قبل وجود الخلق وعند وجودهم وبعد فنائهم لأنه لا تأثير لهم في أسمائه.

فالله لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية لم يحدث له اسم من أسمائه ولا صفة من صفاته، ولكل اسم منها خصوصيةٌ ما، وليس هناك ترادف بينها وإن اتفق بعضها مع بعض في أصل المعنى؛ قال ابن حجر رحمه الله: «الأسماء الحسنى من جهة دلالتها على أربعة أضرب:

الأول: ما يدل على الذات مجردة كالجلالة[1] فإنه يدل على الذات دلالة مطلقة غير مقيدة، وبه يعرف جميع أسمائه فيقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن.

الثاني: ما يدل على الصفات الثابتة للذات كالعليم والقدير والسميع والبصير.

---

(١) أي لفظ الجلالة.

الثالث: ما يدل على إضافة أمر ما إليه كالخالق والرازق.

الرابع: ما يدل على سلب شيء عنه تعالى كالعلي والقدوس».

وفي تفصيل ذلك يقول الإمام الغزالي: «ومن الأسماء ما يدل على الذات- كالله- ويقرب منه اسم الحق إذا أريد به الذات من حيث هي واجبة الوجود.

ومنها ما يدل على الذات مع سلب: مثل القدوس والسلام والغني والأحد ونظائرها؛ فإن القدوس هو المسلوب عنه كل ما يخطر بالبال ويدخل في الوهم، والسلام: هو المسلوب عنه العيوب، والغني: هو المسلوب عنه الحاجة، والأحد: هو المسلوب عنه النظير والقسمة.

ومنها ما يرجع إلى الذات مع إضافة: كالعلي والعظيم والأول والآخر والظاهر والباطن ونظائرها؛ فإن العلي هو الذات التي هي فوق سائر الذوات في المرتبة فهي إضافة، والعظيم يدل على الذات من حيث تجاوز حدود الإدراكات، **والأول**: هو السابق على الموجودات ولا أول لوجوده، والآخر: هو الذي إليه مصير الموجودات، والظاهر: هو الذات بالإضافة إلى دلالة العقل، والباطن: هو الذات مضافة إلى إدراك الحس والوهم.

ومنها ما يرجع إلى الذات مع سلب وإضافة: كالملك والعزيز؛ فإن الملك يدل على ذات لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء، والعزيز: هو الذي لا نظير له وهو مما يصعب نيله والوصول إليه.

ومنها ما يرجع إلى صفة كالعليم والقادر والحي والسميع والبصير.

ومنها ما يرجع إلى صفة العلم مع إضافة: كالخبير والحكيم والشهيد والمحصي؛ فإن الخبير يدل على العلم مضافًا إليه الأمور الباطنة، والشهيد: يدل على العلم مضافًا إلى ما يُشَاهَد، والحكيم يدل على العلم مضافًا إلى أشرف المعلومات، والمحصي: يدل على العلم من حيث يحيط بمعلومات محصورة معدودة.

ومنها ما يرجع إلى القدرة مع زيادة إضافة: كالقهار والقوي والمقتدر والمتين؛ فإن القوة هي تمام القدرة، والمتانة شدتها، والقهر تأثيرها في المقدور بالغلبة.

ومنها ما يرجع إلى الإرادة مع إضافة أو مع فعل كالرحمن والرحيم والرءوف والودود؛ فإن الرحمة ترجع إلى الإرادة مضافة إلى قضاء حاجات المحتاج الضعيف، والرأفة شدة الرحمة وهي مبالغة في الرحمة، والود: يرجع إلى الإرادة مضافًا إلى الإحسان والإنعام، وفعل الرحيم يستدعي محتاجًا، وفعل الودود لا يستدعي ذلك بل الإنعام على سبيل الابتداء يرجع إلى الإرادة مضافًا إلى الإحسان وقضاء حاجة الضعيف.

ومنها ما يرجع إلى صفات الفعل: كالخالق والباري والمصور والوهاب والرزاق والفتاح والقابض والباسط والخافض والرافع والمعز والمذل والعدل والمقيت والمجيب والواسع والباعث والمبدئ والمعيد والمحيي والمميت والمقدم والمؤخر والوالي والبر والتواب والمنتقم والمقسط والجامع والمانع والمغني والهادي ونظائره.

ومنها ما يرجع إلى الدلالة على الفعل مع زيادة كالمجيد والكريم؛ فإن المجيد يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات، والكريم كذلك، واللطيف يدل على الرفق في الفعل».

وأسماء الله تعالى جليلة مطهرة عن أن يسمى بها غيره سبحانه أو عن أن تفسر بما لا يليق أو أن تذكر على غير وجه التعظيم.

والحق أنها متفاضلة فيما بينها، وأعظمها لفظ الجلالة وهو الاسم الأعظم.

وقد مال الغزالي إلى تفاضل الأسماء فيما بينها فقال: «الأسامي يجوز أن تتفاوت فضيلتها لتفاوت معانيها في الجلالة والشرف».

أسماء الله توقيفية

اختار جمهور أهل السنة أن أسماءه تعالى توقيفية وكذا صفاته؛ ومعنى ذلك أننا لا نثبت لله اسمًا ولا صفة إلا إذا ورد بذلك توقيف من الشارع، وكذلك لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء إلا إذا ورد نص، وقد اتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه سبحانه اسم ولا صفة توهم نقصًا ولو ورد ذلك نصًّا؛ فلا يقال: ماهد ولا زارع ولا فالق وإن ثبت في قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾(١) وقوله: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾(٢) وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾(٣)

---

(١) الذاريات: ٤٨.

(٢) الواقعة: ٦٤.

(٣) الأنعام: ٩٥.

كذلك لا يقال: ماكر ولا بنَّاء، وإن ورد: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾(١)، و﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾(٢) وهو قول الإمام الأشعري.

وقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾(٣): إن من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة.

والخلاصة: أن علماء الإسلام اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الله تعالى إذا ورد بها الإذن من الشارع وعلى امتناعه إذا ورد المنع منه، واختلفوا حيث لا إذن ولا منع، والمختار منع ذلك، وهو مذهب الجمهور.

المقصود بالأسماء الحسنى

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾(٤).

والأسماء جمع اسم، وهو اللفظ الدال على الذات فقط أوعلى الذات مع صفة من صفاتها؛ سواء أكان مشتقًّا كالرحمن والرحيم، أو مصدرًا كالسلام.

والحسنى: تأنيث الأحسن، وهي صيغة تفضيل، ومعنى ذلك أنها أحسن الأسماء وأجلُّها لإخبارها عن أحسن المعاني وأشرفها.

ومعنى الآية: ولله تعالى جميع الأسماء الدالة على أفضل المعاني وأكمل الصفات فادعوه بها أي فسموه واذكروه ونادوه بها.

---

(١) آل عمران: ٥٤.

(٢) الذاريات: ٤٧.

(٣) الأعراف: ١٨٠.

(٤) الأعراف: ١٨٠.

عن أبي هريرة- ﷺ- أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من حفظها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر**»(١).

والمقصود من الحديث: من حفظ هذه الأسماء واستحضر معناها واستشعر في نفسه آثارها وكان سلوكه وقوله وفعله على مقتضاها دخل الجنة.

قال الإمام الآلوسي في تفسيره:

«والذي أراه أنه لا حصر لأسمائه- عز وجل- في التسعة والتسعين، ويدل على ذلك ما أخرجه البيهقي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصابه هم أو حزن فليقل: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وذهاب همِّي وجلاء حزني**» فهذا الحديث يدل صراحة على عدم حصرها.

وحكى الإمام النووي اتفاق العلماء على ذلك، وأن المقصود من الحديث الإخبار بأن الأسماء التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة وهو لا ينافي أن له- تعالى- أسماء غيرها».

* * *

(١) في الصحيحين.

الفصل الثامن

النصوص المتشابهات

يقـــول تعـــالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾(١).

قد دلت الآية الكريمة على أن من القرآن ما اتضحت دلالته على المراد منه إما بالظهور أو بالتأويل (أي حمل النص على خلاف ظاهره المتبادر مـع بيـان المعنـى المراد) أو ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، ومنه ما خفيت دلالته فـلا يُـدْرَك معنـاه عقلًا ولا نقلًا، وهو ما اختص الله نفسه بعلمه أو ما احتمل أوجهًا مـن التأويـل دون قَطْع بأحدها.

وعلى ذلك فالنوع الأول: هو المحكم، وهو الذي استقل بنفسه فلا يحتاج إلى بيان.

والثاني: هو المتشابه الذي لا يستقل بنفسه ويحتاج إلى بيان يقع الاخـتلاف في تأويله، وهو نقيض المحكم، ويدخل فيه ما كان من الألفـاظ الموهمـة للتـشبيه في حقه تعالى.

قال الإمام الرازي: المتشابهات هي التي قامت الدلائل القاطعة عـلى امتنـاع ظواهرها؛ فذاك الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى به غير ظاهره.

---

(١) آل عمران: ٧.

وقد عرَّف السبكي المتشابه بأنه كل ما ورد في الكتاب أو السنة موهمًا مماثلته.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «المحكم ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل؛ فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه.

وبعد ذلك نقول: وردت نصوص من القرآن والسنة يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالى للمخلوقات، مع أن المقطوع به نقلًا وعقلًا مخالفة الله تعالى للحوادث كلها كما هو صريح قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(1).

فمن هذه النصوص: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(3) وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾(4) ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾(5) ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾(6).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾(7).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(8)

---

(1) الشورى: 11.

(2) طه: 5.

(3) الفتح: 10.

(4) ص: 75.

(5) فصلت: 11.

(6) طه: 39.

(7) الزمر: 27.

(8) المائدة 64.

وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[1].

وقولــه تعــالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2] وقولــه تعــالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[3] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[4]، وقولـه تعـالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾[6].

وجاء في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له...**»[7].

وقوله ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يُقتل أحدهما يدخلان الجنة يقاتل هـذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»[8].

فقد وردت في هذه النصوص الكريمة ألفاظ اليد والعين واليمين والوجه والمجيء والساق والحب والغضب والكره.

هذه النصوص إذا حُملت على معناها الظاهر وقعنا في تشبيه الله تعالى بمخلوقاته فالواجب تجاهها إما التفويض مع التنزيه أو التأويل.

---

(١) الرحمن: ٢٧.

(٢) الفجر: ٢٢.

(٣) القلم: ٤٢.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) الفتح: ٦.

(٦) التوبة: ٤٦.

(٧) متفق عليه.

(٨) متفق عليه.

مذهب السلف ومذهب الخَلَف

والتفويض مع التنزيه هو طريقة السلف، والتأويل هو طريقة الخَلَف.

والسلف: هم العلماء العدول السادة الأخيار الوارثون عن رسول الله ﷺ الحقائق والعقائد إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة، وهم كبار الأئمة العلماء وتلامذتهم، وهم يمثلون القرون الثلاثة التي شهد لها رسول الله بالخيرية.

والخلف: هم الطائفة الكبيرة من الأئمة والعلماء الثقات- من فقهاء ومحدثين وعلماء أصول- الذين جاءوا بعد المائة الثالثة.

وقد أجمع السلف والخلف على تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث، واتفقوا على أن ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة مما يوهم تشبيهًا مصروف عن معناه الظاهر الحسي الموهم للتشبيه إلى معنى يليق به تعالى.

فالحاصل أن السلف والخلف قائلون بالتأويل لأنهم أجمعوا على صرف اللفظ عن ظاهره

ولكن تأويل السلف يسمى بـ(التأويل الإجمالي) والمقصود به هو صرف اللفظ عن ظاهره وتأويل الخلف يسمى بـ(التأويل التفصيلي) والمقصود به تفصيل ما أجمل السلف فيه القول من مثل: الإمرار مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق فقالوا: لعل المعنى المقصود هو كذا وكذا.

وطريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم.

طريقة السلف

قلنا: إن طريقة السلف هي التفويض، والمراد بـه صرف اللفـظ عـن ظـاهره المتبادر مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه بل يُفَوَّض أمر علمه إلى الله تعـالى بأن يقال: الله أعلم بمراده؛ فمذهب السلف هو تفويض معاني المتشابهات إلى الله وحده بعد تنزيهه عن ظواهرها المستحيلة؛ لأن هذه الظواهر غير مُـرادة في حـق الله تعالى كما دلت الأدلـة القطعيـة كقولـه تعـالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٢).

فمـا يـوهم الجهـة قولـه تعـالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾(٣) فالـسلف يقولون: فوقية لا نعلمها.

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(٤) فالـسلف يقولـون: استواء لا نعلمه.

وسأل رجل الإمام مالكًا عن هذه الآية، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غـير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب، والسؤال عنـه بدعـة ثـم أمـر بالرجل فأُخْرِج».

فقوله: «الاستواء غير مجهول» أي معلوم المعنى وهو العلو والاستقرار،

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) الإخلاص: ٤.

(٣) النحل: ٥٠.

(٤) طه: ٥.

و«غير معقول» أي كيفية الاستواء غير مدرَكة بالعقل.

و«الإيمان به» أي الاستواء. «واجب» لوروده في القرآن.

و«السؤال عنه» أي عن الكيف «بدعة» لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه «ثم أمر بالسائل فأخرج» من المسجد خوفًا من أن يفتن الناس في عقيدتهم.

وقال الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ في قول النبي ﷺ: «**إن الله يُرى في القيامة**» وما أشبه هذه الأحاديث: «نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١)».

وهذا ما أكده الفخر الرازي حيث وضَّح مذهب السلف فقال: «حاصل هذا المذهب أن هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ولا يجوز الخوض في تفسيرها».

وقال صاحب الخريدة: «وأجاب أئمتنا (أي السلف) بأن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث مع تفويض معاني هذه النصوص إليه تعالى إيثارًا للطريق الأسلم، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾».

---

(١) الشورى: ١١.

طريقة الخلف

قلنا: إن السلف والخلف اتفقوا على صرف اللفظ الذي يوهم التشبيه عن ظاهره الحسي إلى معنى يليق بالله تعالى، والخلف خوفًا من التشبيه يؤولون اللفظ الموهم إلى معنى لائق به تعالى طبق ما تقضيه أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

والذي ألجأ الخلف إلى التأويلات ظهور بدع الذين شبهوا الله تعالى بمخلوقاته والذين جسّموه وجعلوا له جسمًا كأجسام المخلوقات وغيرهم فأرادوا سد باب الإيهام ودفع الوساوس عن العوام لئلا يخرجوا عن دائرة التنزيه ولا يحوموا حول التشبيه.

وطريقة الخلف صحيحة وليست خطأ، والتأويل ليس بممنوع؛ فقد ثبت التأويل في الكتاب والسنة ثبوتًا قطعيًّا ففي القرآن قال تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾(2) فلا يجوز نسبة النسيان لله تعالى وهو نوع غفلة يتنزه الله تعالى عنها لقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(3) فلا يجوز بحال أن يقال هو (نسيان) لكنه ليس كنسيان البشر أو هو نسيان يليق بالله تعالى.

فلابد من صرف النص عن معناه الظاهر وتلمس المراد منه على ما يليق بالله تعالى.

---

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) الأعراف: ٥١.

(٣) مريم: ٦٤.

وابن عباس- الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «**اللهم علمه الكتاب**»- أوَّل قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** ﴾[1] بـ(يكشف عن شدة) ونقل مثل هذا ابن جرير في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾[2] فإنه مع كون الضمير (هو) يعود على الذات الإلهية فإن المعية بالذات التي هي ظاهر الآية غير مراده فأُوِّلت المعية بالعلم فأصبح المعنى: وهو معكم بعلمه لأن كون الله بذاته مع الخلق مستحيل قطعًا وليس بعد ذلك إلا تأويلها بمعنى الكينونة مع خلقه بالإحاطة علمًا وقدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا.

وذكر الحافظ الذهبي أن الإمام الثوري سُئل عن قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ** ﴾ فقال: بعلمه.

وتناول هذا التأويل أيضًا نصوص السنة.

فعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»[3].

قال الإمام ابن حجر- في فتح الباري: نسبة الضحك والتعجب إلى الله تعالى (مجازية)[4] والمراد بها الرضا.

---

(١) القلم: ٤٢.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) مجازية: أي مستعملة في غير معناها الظاهر المتعارَف في أصل اللغة.

كما أن التأويل موافق لأساليب اللغة التي نزل بها القرآن، والقرآن يخاطب العرب بلغتهم وبما يعرفونه فإن الرجل العربي يقول: غسلت وجهي يريد بذلك العضو المخصوص، ويقول: قصدت وجهك لتأخذ بيدي وأعوذ بوجهك من فلان، ولا يريد بالوجه إلا المخاطَب نفسه لا العضو المخصوص.

فكذلك من يجيد اللغة العربية لا يشك أنه ليس المراد ذلك العضو المخصوص في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾(٢) فهم يريدون الله بعملهم ورضاه والتقرب إليه.

كذلك من يفهم اللغة العربية لا يشك أن المراد بالوجه ذات الله تعالى في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٣) فلا يقول عاقل: إن ما يبقى من ذات الله عز وجل هو وجهه فقط دون ما سواه من الذات وسائر الصفات.

وكذلك العين فقد ورد في القرآن ما يدل على المراد بها كقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۞﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٥) فنلاحظ من الآيات معنى الرعاية وكمال العناية.

---

(١) الأنعام: ٧٩.

(٢) الإنسان: ٩.

(٣) القصص: ٨٨.

(٤) طه: ٣٩.

(٥) الطور: ٤٨.

مذهب السلف أسلم

والذي نميل إليه ونرجحه هو مذهب السلف فهو الأسلم لما فيه من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له سبحانه وتعالى.



القضاء والقدر

معنى لفظي «القضاء والقدر»

لفظ القضاء معناه لغة: الحُكم؛ تقول: قضى القاضي في المسألة بكذا أي: حكم فيها بحكم، معين، والهيئات القضائية هي الهيئات التي تتولى بحث الخصومات التي تدور بين الناس وتحكم فيها بالحكم المناسب.

أما لفظ «القدر» فمعناه: الترتيب والتحديد؛ تقول: قدرت الكتاب تقديرًا؛ إذا حددت صفحاته ورتبت موضوعاته.

ويؤخذ من أقوال العلماء أن المقصود بالقضاء والقدر عند علماء التوحيد: أن الله تعالى حكم على الأشياء وقدَّرها في الأزل وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وحده عز وجل، وعلى صفات مخصوصة وبنظام محكم وبسننه سبحانه وتعالى التي لا تتخلف والتي ربط فيها بين الأسباب ومسبباتها على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة وقدرته النافذة.

فيجب على كل مكلف أن يؤمن بأن الله تعالى قد أحاط بجميع المخلوقات- ومنها أعمال العباد- علمًا من الأزل، وخصَّص- أزلًا- بإرادته المخلوقات التي ستكون ببعض ما يجوز عليها على وفق العلم ثم إنه سبحانه أوجدها على القدر المخصوص والوجه المعين الذي سبق به العلم وخصصته الإرادة.

وهذا هو المضمون العام للقضاء والقدر.

وعلى هذا فلا يجري في العالم العلوي (السماء) والسفلي (الأرض) ولو طرفة عين إلا بقضاء الله وقدره.

قال طاوس اليماني: سمعت عبد الله بن عمر يقـول: قـال رسـول الله: «**كـل شيء بقدر حتى العجز والكَيْس**[1]»[2].

وقال ابن حجر عند قوله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكَيْس**» معنـاه: أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق بـه علـم الله ومـشيئته، وإنـما جعـل (العجز والكيس) في الحديث غاية للإشارة إلى أن أفعالنا- وإن كانت معلومة لنا ومرادة منا- فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشيئة الله، وهذا مطابق لقوله تعـالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ**﴾[3].

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء والقدر جزء أساسي من عقيدة المسلم فـلا يكـون إسـلام المسلم كاملًا وإيمانه تامًّا إلا إذا صدق وأيقن بأن الله تعالى قـد قـدَّر الأمـور أزلًا قبل وقوعها وقضى فيها بقضائه المحكم وأحاط بها علـمًا قبـل وجودهـا وأنـه لا يحدث شيء في هذا الكون إلا وهو مطابق لقضائه وقدره سبحانه سواء أكان هذا الشيء خيرًا أم شرًّا.

---

(١) الكَيْس: الفطنة والعقل.

(٢) في الموطأ كتاب القدر.

(٣) القمر: ٤٩.

قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1].

أي: ما أصابكم- أيها المؤمنون- من مصيبة كائنة في الأرض كقلة الزرع والزلازل أو كائنة في أنفسكم كالأمراض والأوجاع إلا وهذه المصيبة مسجلة في اللوح المحفوظ، وهذا التسجيل حاصل من قبل أن نخلق هذه الأنفس وهذه المصائب، واعلموا أن كل ذلك شيء يسير على قدرة الله- تعالى- وقد فعلنا ما فعلنا من إثبات ما يصيبكم في كتاب من قبل خلقكم وأخبرناكم بذلك لكي لا تحزنوا على ما أصابكم حزنًا يؤدي بكم إلى عدم الرضا بقضاء الله وقدره ولكي لا تفرحوا بما أعطاكم الله من نعم فرحًا يؤدي بكم إلى الغرور والطغيان.

وعندما سُئل الرسول عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: (أي السائل، وهو جبريل عليه السلام): صدقت**»[2].

وعن علي ﷺ قال: «إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتى يستيقن يقينًا غير ظن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويقر بالقدر كله».

---

(١) الحديد: ٢٢-٢٣.

(٢) الحديث بتمامه رواه عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم.

وقال جابر بن عبدالله- رضي الله عنهما-: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**.

وفي حديث عبادة بن الصامت قال: حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»** يا بني إن مِتَّ ولست على ذلك دخلت النار»(١).

وليس معنى ذلك عدم مباشرة الأسباب التي شرعها الله للنجاح لأن ما سجله الله في اللوح المحفوظ علينا قبل أن يخلقنا لا علم لنا به، وإنما علمه لله وحده وهو- سبحانه- لا يحاسبنا على ما نجهله وإنما يحاسبنا على ما أمرنا به أو نهانا عنه.

وقد شرع الله الأسباب وأمرنا أن نباشرها، وبيَّن لنا في القرآن أن جزاءنا من خير أو شر على حسب أعمالنا.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد.

وعندما قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: أفلا نتَّكل على ما قدَّره الله علينا؟ أجابهم بقوله: «**اعملوا فكل مُيسَّر لما خُلِق له**»(١).

وحاصل الكلام أنهم قالوا: إذا كان الأمر مقدَّرًا فلنترك المشقة في العمل الذي من أجلها سُمي بالتكليف، وحاصل الجواب أن كل من خُلق لشيء يُسِّر لعمله فلا مشقة مع التيسير.

ثمار الإيمان بالقضاء والقدر

هناك فوائد متعددة تعود على الإنسان من وراء إيمانه بالقضاء والقدر.

فإن الإنسان متى اعتقد يقينًا أن ما قضاه الله تعالى في علمه لابد أن يتم انطلق في هذه الحياة ليؤدي ما يجب عليه نحو خالقه ونحو ذاته ونحو غيره.

يؤدي التكاليف التي كُلِّف بها بكل نشاط وإخلاص ثم بعد ذلك يترك النتائج لله.

ومن فوائده أن الإيمان به يسكب في القلوب السكينة والطمأنينة فترتاح الأعصاب وينشرح الصدر لأنه يعلم أن في صبره ورضاه ثوابًا عظيمًا من الله الذي قدَّر له ذلك.

ومن فوائده كذلك أنه يغرس في الإنسان الشجاعة التي تجعله يتحمل صعوبات الحياة وينطق بكلمة الحق وإذا مسه الضر والألم لا ييأس وإذا نجح لا يغتر لأنه يعلم أن كل ذلك من عند الله.

---

(١) أخرجه أحمد.

وكذلك من فوائده أنه يجعل الإنسان يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا يجعله يحارب الفقر بالعمل ويحارب الجهل بالعلم ويقاوم المرض باستعمال الدواء فقد روي أن عمر بن الخطاب خرج إلى بلاد الشام فلقيه في طريقه أمراء بلاد الشام فأخبروه أن الطاعون قد ظهر في بلاد الشام وبعد المشاورة اختار عمر رأي القائلين بالرجوع إلى المدينة المنورة وعندما سأله أبو عبيدة: أفرارًا من قدر الله؟ أجابه عمر: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله! فقد أخذ عمر بالحذر واتبع أسباب النجاة برغم إيمانه بالقضاء والقدر وذلك لفهمه مقاصد الدين.



فهرس